الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
تخصص تاريخ

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلامي وحضاراته

نشأة التصوف في بلاد المغرب الإسلامي ق 3هـ

من إعداد الطالبتين :

- شبلي فايزة
- شتوح أمينة

الأستاذ المشرف:

حاج عيسى إلياس

لجنة المناقشة:

الأستاذ: بلقاسم بن عودة	رئيسا
الأستاذ: عليلي محمد	مناقشا

السنة الجامعية: 2014-2015

:

قال الله تعالى:

بطاقة شكر

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف

ليجمعها في كلمات... تتبعثر الأحرف، و عبثا يحاول تجميعها في سطور.

سطور كثيرة تمر في الخيال، و لا يبقى لنا في نهاية المطاف

إلا قليلا من الذكريات، و صور تجمعنا برفقاء كانوا إلى جانبنا

فواجب علينا شكرهم و وداعهم، و نحن نخطوا خطوتنا الأولى في غمار الحياة.

******

و نخص بجزيل الشكر و العرفان، كل من أشعل شمعة في دروب علمنا.

وإلى من وقف في المنابر، و أعطى من حصيلة فكره

لينير دربنا.

إلى أساتذة جامعة إبن خلدون بتيارت عموما

و أساتذة قسم العلوم الانسانية

******

و نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ حاج عيسى إلياس

الذي تفضل بالإشراف على هاته المذكرة فجزاه الله عنا كل خير

فله منا كل التقدير و الإحترام.

ج :جزء

دط :دون طبعة

ط :طبعة

ص :صفحة

تح :تحقيق

تر :ترجمة

تع :تعريب

تق :تقديم

مر :مراجعة

دس: دون سنة

مج: مجلد

المدخل

أولا: مظاهر الزهد في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– والصحابة والتابعين–رضوان الله عليهم–:

أ- عهد الرسول–صلى الله عليه وسلم–:

وجد الصوفية لأنفسهم مصدرا غنيا فيما استمدوه من صنوف العلم في حياة النبي–صلّى الله عليه وسلّم –التي انطوت على معاني الزهد والتقشف والانقطاع والتأمل في الكون.

فكانت معالم التصوف في عهد الرسول–صلّى الله عليه وسلم– بادية على شكل زهد وجملة من الأخلاق والسلوكيات الفضيلة، بما في ذلك من تعبد في غار حراء– قبل البعثة– وتقلل في المأكل والمشرب، مما جعل الصوفية يستندون في هذا المسلك إلى عزلة النبي –صلى الله ليه وسلم–.([1]) وليس من شك أن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– كان المثل الأعلى للمسلمين جميعا، فعرف عنه حسن العشرة للناس، والحياء، وجود العطاء، وقد وصفه أبو سعيد الخدري قائلا:" كان رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يعقل البعير، ويعلق الناضح، ويقمّ البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معها إذا هي أعيت، كان لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة ". وكانت حياته سامية قبل وبعد البعثة،وهي الحياة التي كان يحياها الزهاد والعباد . ([2])

علاوة على ذلك، ظهرت فئة الزهاد كطائفة القراء من الأنصار، الذين عرفوا بملازمة الأعمدة ليلا للتهجد ودراسة القرآن، والذين وصفوا بأصحاب القرآن، وكذا فئة أهل الصفة، والتي عرفت هي أيضا بالزهد ونسب إليها التصوف.

[1]– أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ص:43.

[2]–أبي نصر السراج الطوسي، اللُمع، تح: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر،1960/1380، ص:136.

ومن الأقوال التي استنبطها الصوفية فيما بعد أمثلة من الأدعية ومنها ما دعا النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى الزهد فقال:"ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"، وقال أيضا:" إذا رأيتم من يزهد في الدنيا فادنوا منه، فإنه يلقى الحكمة". وقد انطوت بعض أدعية الرسول-صلى الله عليه وسلم- على كثير من المعاني الصوفية وذلك نحو قوله:" اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت"، وقوله:" اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا، وفي أعين الناس كبيرا..." ([1])

ب- **عهد الصحابة-رضي الله عنهم-:**

استقى الصوفية من منبع حياة الصحابة وأقوالهم، حيث كانت حياتهم وأقوالهم مليئة بكثير من معاني الزهد والورع والتقشف والإقبال على الله -عز وجلّ-، ولاشكّ في أنّ صحابة الرسول- صلى الله عليه وسلم- كانوا رواد الروح الأوائل لصوفية الإسلام.

لقد كان الصحابة مقتدين بالنبي —صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأحواله، وقد امتدحهم القرآن في قول الله تعالى:" وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"([2]) ، كما أشار الرسول — صلى الله عليه وسلم- إلى علو منزلتهم في قوله:" أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم" ([3])ومن هنا نظر الصوفية إلى الصحابة على أنهم قدوة في جميع معانيهم الظاهرة والباطنة.([4]) .

---

[1] -أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص: 49.

[2] سورة التوبة، الآية100

[3] رواه ابن ماجه، موقع الكتروني:
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=154&idto=159&bk_no=81&ID=3

[4] - أبو نصر سراج الدين الطوسي، اللّمع، تح: عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، ص: 166.

أمّا إذا انتقلنا إلى أحوال الجيل الأول من المسلمين فلقد رأينا فيهم انعكاس تعاليم القرآن العظيم وأقوال الرسول- صلى الله عليه وسلم- فكانوا صورة مشرفة للإسلام في ابتغائهم دار الآخرة وقيامهم بأمور الحياة الدنيوية، فكان أبو بكر الصديق زاهدا حتى رو عنه أنّه كان يطوى (شدة الجوع) ستة أيام؟، وكان لا يزيد على ثوب واحد، وكان يقول:" إذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتّى يفارق تلك الزينة"([1]).

وفي موضع آخر نرى أنّ الصوفية أنفسهم يعالجون حياة الصحابي أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- من زاوية الزهد والتصوف، فيقول أبو بكر الواسطي الصوفي المشهور:" إنّ أول لسان الصوفية ظهرت في هذه الأمة على لسان أبي بكر إشارة والسبب في أن الصديق الأول للرسول- صلى الله عليه وسلم- هو أول لسان الصوفية أنّه حين خرج من جميع ملكه وزهد في ماله قال له النبي الأعظم:" أيش خلفت لعيالك؟"قال أبو بكر:" الله ورسوله"([2]).

وقد وجد الصوفية في حديث أبا بكر الصديق كثير من الأحوال،([3]) والمقامات ([4])كالتقوى واليقين والتواضع من خلال قوله:" وجدنا الكرم في التقوى، والغناء في اليقين، والشرف في التواضع" وفي حال المعرفة قول الجنيد:" أشرف كلمة في التوحيد قولة أبي بكر سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا العجز عن معرفته." أما عن الصحابي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه-فيذكر الطوسي فيما رُوي عن أبي عثمان النهدي أنّه قال:" رأيت على عمر-رضي الله عنه- قميصا فيه اثنا عشر رقعة، وهو يخطب"، وبهذا رأى المتصوفة إلى هذا المثال على أنه قدوة لهم وتكلم عمر أيضا في معاني اتخذها المتصوفة اقتداءاً لهم كمعنى الرضا والصبر

[1]-أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص:51.

[2]- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، ص:169.

[3]-الأحوال: مفردها حال، مصطلح صوفي يقصد به ما يرد القلب من غير اجتلاب، والأحوال مواهب لا مكاسب، وهي الرابطة الوجودية التي تصل المخلوق بخالقه، مثل: الدعاء، أنظر: سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ط:01، دندرة للطباعة والنشر، 1401هـ ./1981م، ص:334.

[4]-المقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته(اكتسابه) من الآداب وهي تحصيل لبذل الجهود، أنظر: أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص:132.

فقال في كتاب وجّهه إلى أبي موسى الأشعري:" أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلّا فاصبر"، وعن التواضع في قوله:" رحم الله امرئ أهدي إلي عيوبي".([1])

ولاعتزاز أمثلة اقتداء الصوفية بعمر ما نصه الطوسي في كتابه اللمع:"ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر –رضي الله عنه–، بمعاني خلص بها"، والمقصود هنا اختيارهم لبس المرقع، وترك الشهوات، وما إلى ذلك من صفات الزهاد .

أمّا عن عثمان بن عفان–رضي الله عنه– فكان هو أيضا قدوة لأهل التصوف، فرغم قدرته المادية إلا انه كان زاهدا، مجاهدا، بحيث كان الإنفاق أحب إليه من الإمساك، فهو الذي جهّز جيش العسرة، واشترى بئر رومة، وعرف عنه كثرة تعبده وتلاوته القرآن، وسمو أخلاقه كالحياء والجود والزهد والتواضع والشفقة وحسن الصحبة للناس، ورأى الصوفية في موضع قتل عثمان– رضي الله عنه– حال التمكين([2]) فرغم معرفته(عثمان–رضي الله عنه–) بأنه سيقتل، لم يبرح من موضعه، و لم يضع المصحف إلى أن قتل([3])، ووقع الدم على موضع الآية:" فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "([4]).

وقد روي عن عثمان– رضي الله عنه– أقوال لها دلالة صوفية منها قوله:" وجدت الخير مجموعا في أربعة:" أولها التحبب إلى الله تعالى، والثاني الصبر على أحكام الله تعالى، والثالث الرضا بتقدير الله– عزّ وجل–، والرابع الحياء من الله".([5])

[1]أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص: 51.

[2]التمكين، هو الانتقال من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، أنظر: ابن عجيبة عبد الله أحمد، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د.س، ص:70.

[3]–أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، ص: 178.

[4]– سورة البقرة، الآية 137.

[5]–أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص:53.

وفيما يخص علي ابن أبي طالب- رضي الله عنه- فله أيضا عند الصوفية منزلة رفيعة، فكان مثلا بارزا في الزهد والتقشف والدعوة إليهما، وقوله لعمر ابن الخطاب:" إذا أردت أن تلقى صاحبك، فرقع قميصك، واخصف نعلك، وقصّر أملك، وكل دون الشبع"، وعندما سئل علي ابن أبي طالب-رضي الله عنه- عن الإيمان فأجاب بـ :"الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد"([1]).

ولعله من الجدير لنا قبل ختام جزء حياة الزهد في عهد الصحابة– رضوان الله عليهم-، ذكر موقف الطوسي في جعل الحياة الروحية عند الصحابة الأربع قدوة لبقية الصوفية من خلال قوله:" من ترك الدنيا كلّها وخرج من جميع ما يملك وجلس على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة، فإمامه فيه أبو بكر، ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله ولصلة الرحم، وأداء الحقوق فإمامه فيها عمر بن الخطاب، ومن جمع لله، وأعطى لله، وأنفق لله، فإمامه فيها عثمان، ومن لا يحوم حول الدنيا، فرفضها وهرب منها، فإمامه في ذلك علي بن أبي طالب"([2]).

وبذلك فقد كان الصحابة- رضوان الله عليهم- في غاية الالتزام بالاقتداء بالرسول –عليه الصلاة والسلام- وأزهد الناس وكانت أقوالهم تحثّ على الدعوة الخالصة بالعودة إلى الكتاب والسنة.

ج .– عهد التابعين:

تلقى التابعون منهج التوسط والاعتدال عن الصحابة -رضوان الله عليهم-، فظهرت طبقة من العباد والزهاد الذين تميزوا بكثرة العبادة والاجتهاد في الطاعات، وغلب على بعضهم الزهد والتقشف، وعلى البعض الآخر الورع والتقوى، ولما كان موضوعنا يهتم بدراسة التصوف،

[1]- أبو نصر السراج، اللمع، ص:180.

[2]- أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، 182.

سنلخص في هذا الجزء بعض من شخصيات أهل الصفة: فمثلا أبو الدرداء([1]) فقد كتب إلى بعض إخوانه فقال:" إنّي أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا، والرغبة في ما عند الله، فإنكم إن فعلتم ذلك أحبّكم الله لرغبتكم فيما عنده وأحبّكم الناس لترككم له والسلام". ([2]) كما نذكر أيضا معاذ بن جبل، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري([3])، وأنس بن مالك الذين كان لهم أثر قوي في الحياة الروحية الإسلامية عند المتصوفة.([4])

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم -وصحابته والتابعين- رضوان الله عليهم- كانت مبنية على أساس الزهد فقد كانوا مجاهدين في سبيل الله -عزّوجلّ- أقبلت عليهم الدنيا فلم يغتروا بها، واجتهدوا في العبادة والتقرب إلى الله تعالى راغبين في فضله وجنّته وذلك بتوجيه من الرسول- صلّى الله عليه وسلّم-. وخلاصة القول هنا أن التصوف كانت بداياته الزهد في الدنيا ومتاعها والإقبال على الآخرة وبذل الجهد لها ، كما انّه انصراف الرغبة من الشيء إلى ما هو خير منه أي إيثار الحياة الأخروية الباقية على الحياة الدنيا وليس معناه ترك الكسب والاكتساب ولا عدم الأخذ بالأسباب، لانّ الإسلام يعتني بالحياة إعتناءاً مناسبا لإبقاء المصلحة الفردية والجماعية فيحث المسلم على الأخذ بنصيبه من الدنيا كقول الله تعالى:" وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" ([5]) ومما لا شكّ فيه أنّ ديننا الحنيف

[1]أبو الدرداء: هو عويمر بن عامر، تأخر إسلامه قليلا، كان فقيها عاقلا حكيما، ولي قضاء دمشق في خلافة عثمان-رضي الله عنه-، توفي:34هـ ..، أنظر: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض، عادل عبد الموجود، ج:06، دار الكتب العلمية، لبنان، ص:94.

[2]أبو الخير تراسون، التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، أطروحة الدكتورة، كلية الدعوة وأصول الدين،جامعة أم القرى، ص:75.

[3]-أبو ذر الغفاري: أول من حيا الرسول-صلى الله عليه وسلم- بتحية الإسلام،كان من أهل الصفة عابدا زاهدا، أنظر: عبد الرءوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية " طبقات المناوي الكبرى،تح: عبد الحميد صالح حمدان، مج:01، مكتبة الأزهرية للتراث، الإسكندرية، د.س، ص:83.

[4]أبو الوفا التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص:55.

[5]سورة القصص: الآية 77.

يحثّ على التوسط في العيش وهذا هو المنهج الذي جاء سيد الخلق الرسول الأمين محمد –عليه الصلاة والسلام-([1])

ثانيا: تعريف الزهد:

أ– لغة:

زهد فيه وزهد يزهد زهدا وزهادة، رغب عنه وزهد تعهده فيه ضد رغبه، وتزهد تعبد، والزهيد القليل، والزهد الإعراض عن الشيء احتقارا له.([2]) وزهد فيه وعنه زهدا وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره. أو لتحرجه منه لقلته، ويقال زهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه. وترك حرامها مخافة عقابه.([3])

–اصطلاحا:

الزهد: هو خلو القلب من التعلق بغير الرب، أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها، فزهد العامة ترك وفضل على الحاجة في كل شيء، وزهد الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله من جميع الأوقات. ([4])،وقد نشأ كصيغة عمل وأسلوب في بدايته الأولى.([5])

[1] هذا النص من وجهة نظرنا.

[2] محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مج:04، دار الفكر، بيروت،ص:619.

[3] شوقي ضيف، المعجم الوسيط، ط:04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004/1425، ص:403.

[1] عبد الله أحمد ابن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص:30.

[2] نور أندريه، التصوف الإسلامي، تر: عدنان عباس علي، منشورات الحمل، ألمانيا، ط:01، 2002، ص:61

وليس الزهد في الإسلام انقطاع عن الدنيا وإنما معنى يتحقق به الإنسان يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا يعمل فيها ويكد ولكن لا يجعل لها سلطانا على قلبه ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه([1]) .وقد عرفه الهروي على انه إسقاط الرغبة عن الشيء بالكلية، قوله: عن الشيء يعني عن القلب.قوله: بالكليّة، أي مع ترك التشوق إليه وعدم الالتفات فإن ذلك شاهد بالإعراض عن الدنيا حقيقة ([2])

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الزهد عبارة عن انصراف الرغبة من الشيء إلى ما هو خير منه أي إيثار الحياة الآخرة الباقية على الدنيا الزائلة. وليس معناه ترك الكسب والاكتساب ولا ترك الأسباب وعدم الأخذ بها لأن الإسلام يعتني بحياة الفرد اعتناءا دقيقا. فيحث المسلم على الأخذ بنصيبه من الدنيا كقوله تعالى:" وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا "([3]).

ومن وجهة نظرنا نرى بأن الزهد منهج قوامه التقلل من ملذات الحياة والانصراف إلى ما هو أسمى منها، فأساسه مستمد من آداب القرآن وسنة النبي-صلى الله عليه وسلم- وسيرة صحابته-رضوان الله عليهم-.

ثالثا: تعريف التصوف:

1-لغة:

1-1 -الاشتقاق:

[3] يحي بن معاذ الرازي، جواهر التصوف، تع: سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، 1423ه ./2002م، القاهرة، ص:148.

[2]أبي اسماعيل الهروي، منازل السائرين إلى الحق المبين، عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني، ج:01، دار التركي للنشر، 1989، ص:139.

[3]سورة القصص، الآية 77.

اختلف أهل اللغة في أصل كلمة-التصوف-إن كانت جامدة أم مشتقة، فكثرت أقاويلهم وتعددت اتجاهاتهم في ذلك،وهنا عرض لأهم الآراء:

- إما من الصفاء لأن أساسه التصفية، أو من الصفة لأنه اتصاف بالكمـ ـالات أو من صفة مسجد النبي —صلى الله عليه وسلم- لأنهم متشبهون بأهل الصفة في التوجه والانقطاع، أو من الصوف لأجل لباسهم تقللا من الدنيا والزهـ ـد فيها اختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء -عليهم السلام-([1]).

وأما القشيري([2]) فيرى بأنهم إذا نسبوا إلى صفة مسجد الرسول-صلى الله عليه وسلم- فهذه النسبة لا تصح لأن الصفة لا تجيء على النحو الصوفي،وفيما يخص نسبتهم إلى الصفاء فهي بعيدة في مقتضى اللغة.([3]).

وقيل أيضا أنها سميت صوفية لصفاء أسرارها ونقاء أثارها، ولأنهم في الصف الأول بين يدي الله —عز وجل- بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه([4])، ويقال أنهم انتسبوا إلى قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة، وهم منسوبون إلى صوفة ولد الغوث بن مر بن أخي تميم بن مر.

[1]عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص:26.

[2]هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الكريم بن هوزان القشيري، كان إماما كبير القدر، له النصيب الوافر، والحظ الزاخر من التصوف، أصوليا، لغويا،محدثا، مات 497هـ .، انظر: عبد الرءوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى، مج: 01، تح: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة الأزهرية للتراث، الإسكندرية، ص: 628.

[3]أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ص:464.

[4]-الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص:20.

وفيما يخص انتسابهم إلى صوفانة: وهي بقلة ([1])زغباء قصيرة، وذلك لاكتفائهم بالقليل من الطعام ولو بنبات الصحراء، وهو أيضا لا يصح لغويا لأنه لو كان ذلك لقيل صوفاني.

أما لانتسابهم إلى سوفيا اليونانية: والتي تعني الحكمة في العربية فهو غير صائب لأسباب لغوية يونانية ألا وهي أنَّ حرف السين اليوناني يمثل السين العربي في جميع ما عرّب من كلمات يونانية، لا بحرف الصاد.([2])

ويقول الطوسي أبو النصر سراج صاحب كتاب اللمع أن الصوفية نسبوا إلى ظاهر اللباس (الصوف)،لأنّه كان دأب الأنبياء والرسل([3]). ولذلك حبّذ الصوفية لبسه على أنه علامة للتواضع والورع والفقر وأما المعارضين لهذا الرأي يرون أنّ لبس الصوف ليس فيه فضيلة ولا شرف، إذ لو كان في لبسه فضيلة أو سمو مكانة عند الله تعالى لفضّله رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على غيره من اللباس، والذي قلل من هذا الرأي أيضا اعتبروا أن ربط كلمة التصوف بلباس الصوف مجرد تخمين وافتراض، ليخلص لنا في الأخير أن التصوف لقب وضع لهذه الطائفة وفي ذلك قال القشيري:"فأمّا من قال:إنّه من الصوف ولهذا يقال تصوف إذا لبس الصوف، وتقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه". ([4])

1-2 وأما الآراء التي ترى أن كلمة التصوف جامدة فيمكن تلخيصها كالآتي:

---

[1]بقلة: نبات عشبي يتغذى به الإنسان دون تحويله صناعيا، أنظر: المعجم الوسيط، ط04، مكتبة الشروق الدولية،مصر،1425ه ./2004م، ص:66.

[2]-إحسان إلهي ظهير، التصوف المنشأ والمصادر، دار الإمام المجدد، القاهرة، مصر، 1426ه ./2005 ، ص:.33

[3]-أبي نصر السراج الطوسي، اللُمَع، تح: عبد الحليم محمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة ومكتبة مثنى بغداد، مصر،1960/1380، ص:48.

[4]أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تح:عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف،ص:464.

- **القشيري** حيث قال":هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال: رجلٌ صوفيّ، وللجماعة صوفيّة، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف، وللجماعة متصوفة، ولا يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس أو اشتقاق، والأظهر فيه أنه كاللقب".([1]).
- وقد وافقه في الرأي **ابن خلدون** حين قال:" والظاهر أنه لقب"([2])

2- اصطلاحا:

إذا كان الصوفية والباحثون لم يتفقوا على أصل كلمة التصوف واشتقاقه، فإنهم كذلك مختلفون في التعريف به وتعيين مفهومه حيث أوردوا له تعاريف كثيرة ومتباينة وفيما يلي نماذج منها:

-قال معروف الكرخي ([3]):"التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالحق، لن يتحقق بالتصوف".[(4)]

-قال أبو سليمان الداراني ([5]):" التصوف أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق، وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمه إلا هو".([6])

-قال بشر الحافي ([7]):" الصوفي من صفى قلبه لله". ([1])

---

[1]المصدر نفسه، 464.

[2]ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،لبنان، 1421ه ./2001، ص:611.

[3]معروف الكرخي:(ت200ه .)،أبو محفوظ معروف بن فيروز، أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج:05،دارصادر، بيروت، ص:232.233.

[4]فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1983، ص:18.

[5]هو عبد الرحمن بن عطية الداراني، من اهل داران، إحدى قرى دمشق، أنظر: القشيري، المصدر السابق، ص:.67

[6]-فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص: 19.

[7] بشر الحافي: (150ه ./227ه .)، هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، أصله من "مرو" وسكن بغداد إمام عصره في الزهد والورع ورواية الحديث، أنظر: أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص:54.وقد ترجم له: ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج:01، ص: 274.وأنظر: عبد الرءوف المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي

ويعرفه ابن خلدون بقوله:" طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله –عزّ وجلّ–والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد للخلوة في العبادة". ([2])

كما يعتبر البعض أن التصوف هو علم طريق الآخرة وعلم أحوال القلب أخلاقه المحمودة أو المذمومة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه.([3])

و يؤكّد أهل هذا العلم أن التصوف هو الخلق.([4])، ويعني هذا أن التصوف هو تجنب كل خلق دنيء والتحلي بكل خلق سني، وان تعمل لله بغير غاية إلا رضاه .

ويرى بعض الصوفية أن التصوف هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف".([5])

وقد عرف الباحثون التصوف على أنّه حصيلة الجهود الفكرية والعلمية والعملية التي بذلها طائفة من المتأهلين المسلمين آملين في تحقيق تصفية النفس وصولا إلى مقام القرب من الله– تبارك وتعالى– "([6])

الكبرى، تح: عبد الحميد صالح حمدان، مج:01، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص:368. وأنظر أيضا: أبو يزيد المهدي، بحار الولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 1418 هـ /1998م، ص:208.

[1] فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي الطريق والرجال،ص:19.

[2]ابن خلدون، المقدمة، ج:01، ص:611.

[3]رياض صالح حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، ص:39.

[4]هدّي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي"محي الدين ابن عربي نموذجا"، رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص:02.

[5]-رياض صالح حشيش، المرجع السابق، ص:37.

[6]عصام الدين السيد انس مصطفي الزفتاوي، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2009/1430 ، ص:499.

ويعرف أبو الحسين النوري([1])ليس التصوف علما ولا رسما، ولكنه خلق،لأنه لو كان رسما لحصل بالمجاهدة، ولو كان علما لحصل بالتعليم ولكنه تخلق بأخلاق الله، ولا تستطيع أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم ولا برسم"([2]) .

كما ترى طائفة أخرى من العلماء أنّه سلوك روحي يفضي إلى الفناء في الله والسمة الظاهرة فيه هي الاجتهاد في العبادة في شتّى أشكالها والمبالغة فيها كمّا وكيفا فلا يكتفي بالواجبات بل يتعداها إلى المندوبات ولا يتجنب المحرمات بل المكروهات أيضا ولا يتهافت على المباحات بل يزهد فيها ويعرض عنها "([3]) .

ومن خلال جملة هاته التعريفات يمكن القول أن التصوف عبارة عن منهج سلوكي يضم الأخلاق والأعمال الفضيلة من أجل الوصول إلى طريق الله –عز وجل–([4]) ، فهو الذي يحـ ـرك الإنسان في دائرة الفعل المسؤول، فلا حقد ولا عداء ولا حسد ولا بغضاء ولا كراهية ولا تطاول على حقوق العباد .

وللمتصوفة أسماء مختلفة منها:

-**الزهاد :** لأنهم زهدوا وتركوا الدنيا تماماً وما فيها من مباهج ولو كان بهم خصاصة الفقراء لحاجتهم إلى الله سبحانه وتعالى.

-**الغرباء أو السائحون :** لأنهم يسيحون ويتجولون في الأراضي الواسعة كالبراري والقفار لعبادة الله سبحانه وتعالى.

-**الجوعية :** لأنهم لا يأكلون إلا بقدر ما يسد رمقهم ويعينهم على طاعة الله– عز وجل–

-**المرابطون:** مشتق من اللفظ مرابط أي الذي يعيش عيشة الزهد والنسك في الرباط

---

[1]أبو الحسين احمد بن محمد النوري: ولد بغداد كان كبير الشأن حسن المعاملة واللسان من أقواله عن التصوف انه ترك كل حظ للنفس، أنظر: أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، تح: عبدا لحليم محمود، محمود بن الشريف ، ص:83.

[2]رياض صالح علي حشيش، المرجع السابق، ص:37.

[3] محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، دار الطليعة، ط1، لبنان، 2007،ص:26.

[4]من وجهة نظرنا.

وكل هذه الألفاظ تدل على الأشخاص الذين تركوا الأوطان ولزموا الأسفار والترحال والانتقال من وطن إلى آخر وتخلوا عن الدنيا، وعزموا النفس عن مباهج الحياة . ([1])

وبهذا فتعريفات التصوف اختلفت من شخص إلى آخر وهو ما لاحظناه من خلال بحثنا هذا، إذ يصعب على الباحث أن ينتهي إلى تعريف شامل وواحد للتصوف.

وعليه بترجيح الرأي الأقوى يمكن القول أن التصوف هو عبارة عن طريقة انتقالية لإصلاح القلوب و تزكية النفوس،كما انّه سلوك يرمي إلى ترك كل ما هو دني، والعمل لما ينفع الناس في صلاح أحوالهم الدنيوية والحث على تصفية الاعتقاد وكمال الأعمال بالسداد، وأمّا عن سبب اختلاف الآراء حول التعريف، فلعله يعود إلى أنّه تجربة وجدانية، تختلف باختلاف الأشخاص.([2])

وعليه يتضح لنا أنه ليس من الصواب أن نخلط بين الزهد والتصوف على أنهما شيء واحد، وإن كان ثمة ارتباط بينهما فهو كون أولهما- الزهد- مقدمة الآخر –التصوف-، إذ يمكن للزاهد أن يقف حد الزهد دون المضي قدما إلى آخر السبيل الصوفي.([3])

ولخلط الناس بين الزاهد والصوفي حاول ابن سينا أن يفرق بينهم وبين أهداف كل منهم يقول في كتابه الإشارات :

- المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص الزاهد.
- المواظب على فعل العبادات من قيام وصيام ونحوهما يخص باسم العابد.

[1] لمياء عز الدين صباغ، الصوفيون والتصوف في المغرب حتى القرن الرابع الهجري، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد14/1، 1434هـ ./2013م:05.

[2] من وجهة نظرنا.

[3] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، ص:05.

ويتحدث "ابن سينا" أن الزاهد قد يكون عابدا، والعابد قد يكون زاهدا فيمتزج الزهد والعبادة في شخص واحد ولا يكون بعبادته وزهده معا "صوفيا"، ولكن"الصوفي" لا محالة، زاهد وعابد.([1])

وبما أن التصوف زهد في الدنيا لكسب رضا الله –عز وجل- والزهد بعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة.فإن التصوف فلسفة روحية في الإسلام والزهد منهج عملي من مناهج الإسلام.([2])

[1]أبي اسماعيل الهروي، منازل السائرين إلى الحق المبين، تح: عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني، ج:01، دار التركي للنشر، 1989،

[2]محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، القاهرة،ص:07.

مقدمة

تعتبر فترة ما بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من بين أزهى وأرقى فترات التاريخ، حيث ساهم –الفتح – في إرساء الحضارة العربية الإسلامية وإثراء التراث الفكري خصوصا وأن الإسلام دين حق، يدعو أهله إلى التوسط في سلوكهم الحياتي، ولكن تغيرت ظروف المجتمع الإسلامي وأحواله مؤدية إلى ابتعاد فئة من المسلمين عن الاعتدال المشروع، فتطلب التوازن ظهور نزعة روحية ودينية، تحث على الزهد طلبا إلى الآخرة، وقد تصاعد هذا التيار مؤديا إلى ظهور التصوف خلال القرن الثاني الهجري، وقد حدث هذا في الجناح الشرقي، لكن الجناح الغربي لم يكن بمعزل عنه عما يجري من أحداث وهكذا عرف التصوف طريقه إلى بلاد المغرب، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية التالية:

متى ظهر التصوف في بلاد المغرب؟ وكيف كانت بدايته؟

وهذه الإشكالية تفرض تساؤلات فرعية نذكر منها:

- ما هو تعريف التصوف؟ ولماذا اختلفت الآراء حول إعطاء تعريف كامل للتصوف؟

-كيف انتقل التصوف من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي؟

-وما هو تأثير الزهاد الأوائل في بلاد المغرب في انتشار التصوف؟

- ما هي العلاقة التي تربط بين الزهد والتصوف؟
- ما هي الأسباب والعوامل التي ساهمت في نشأة التصوف وما هي مظاهره؟
- وما هو تأثير المتصوفة على المجتمع المغربي؟ وكيف كانت العلاقة بين رجال التصوف والسلطة؟

-وكيف كان موقف الإمام مالك من التصوف والمتصوفة؟

لقد وقع اختيارنا لموضوع نشأة التصوف لبلاد المغرب الإسلامي لمجموعة من العوامل والتي تكمن في أن معظم الدراسات تناولت الفترة المتأخرة للتصوف أي بعد ظهور الطرق والزوايا مهملين بدايته الأولى والتي تعتبر اللبنة الأساسية له.

واتبعنا في عملنا هذا منهجا تاريخيا حاولنا فيه أن نركز على استقاء المادة من المصادر، لدراسة جوهر التصوف دون الابتعاد عن البعد التاريخي وراعينا في ذلك التحليل والنقد والاستنتاج، وانتهجنا منهجا ثانويا في دراستنا هذه كالمنهج المقارن في المواضيع التي تحتاج المقارنة.

وكما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية هناك مجموعة من الصعوبات والعراقيل والتي واجهتنا في إعداد هذه الدراسة، ولعل من بينها، صعوبة التنسيق بين فقرات المادة العلمية، إضافة إلى صعوبة الانتهاء برأي واحد نهائي في دراسة التصوف وذلك لتعدد آراء الدارسين من معارض له، ومؤيد له فغابت النزعة الموضوعية عندهم مما أدى بنا إلى صعوبة الفصل في الموضوع، وكما انه موضوع ذو صلة بالدراسات الدينية والفلسفية لكثرة الإشكاليات التي تتعرض الدراسة .

لقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة، مدخل، وثلاث فصول وختمناه بخاتمة، وبعض الملاحق، وفهرس، وقد استهلينا الموضوع بمقدمة استعرضنا فيها سبب اختيارنا لهذا الموضوع وأهميته التاريخية، واتبعنا ذلك بعرض وتحليل لمصادر البحث المستعملة مبرزين مدى ما قدمته من معلومات،ومدخل جاء فيه مظاهر الزهد في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–،وفي عهد الصحابة والتابعين –رضوان الله عليهم–، تعريف الزهد،وتعريف التصوف، أما الفصول الثلاثة فهي كالآتي:

فالفصل الأول اندرج تحت عنوان بدايات التصوف في بلاد المغرب الإسلامي وقد ضم كل من انتقال الزهد إلى بلاد المغرب، تطور حركة الزهد، شخصيات الزهاد الأوائل في المغرب، أما الفصل الثاني حمل عنوان عوامل انتشار التصوف ومظاهره والذي ذكرنا فيه العوامل والمظاهر

وموقف الامام مالك، أما الفصل الثالث فقد خصصناه لأثر الصوفية في المجتمع المغربي من الناحية الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، الحياة الثقافية والفكرية.

عرض المصادر:

- **كتاب الرسالة القشيرية،** لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان،بن عبد الملك بن طلحة القشيري الشافعي زين الإسلام(ت.465ه/1076م) والذي يعد من رجال الصوفية، وهو مفسر وفقيه، ومحدث، ومتكلم وواعظ وأديب وناظم للشعر وفارس، والرسالة القشيرية من أهم المصادر التي أفادت الدراسة لاشتمالها على العديد من تعريفات في التصوف، التي وردت على ألسنة الصوفية، كما احتوت هذه الرسالة على العديد من تراجم القوم.
- **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف،** للكلاباذي أبو بكر محمد ابن إسحاق البخاري(ت380ه/990)، والذي يعتبر كتابه من أقدم وأدق الكتب التي تناولت علم التصوف ومصطلحاته ورجاله، وقد اتبع في كتابته أسلوب السرد والعرض ثم يعطي رأيه في الأخير، وقد أفادنا إفادة كبيرة وخاصة في تعريفات التصوف.
- **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم،** للمالكي أبو عبد الله محمد، والذي أفادنا في تعريف شخصيات الزهاد والعباد.
- **كتاب وفيات الأعيان،** لابن خلكان شمس الدين أحمد (608-681ه/1211-1282) وهو عبارة عن تراجم لأهم كبار رجال الدولة وأعلام الفكر وهو ما أفادنا به.
- **كتاب المقدمة** لابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن(ت.1405/808) وهو القسم الأول في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بما يعرفه للمؤرخين من المغالط، وذكر شتى من أسبابها وهو ما أفادنا في تعريف التصوف.

- **كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** لأبي العباس احمد أبي عذاري المراكشي واستفدنا من جزئه الأول والمتضمن للمرحلة الممتدة من الفتح إلى أوائل القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي واستفاد البحث منه في إبراز العوامل الدينية والاقتصادية التي أدت إلى نشأة التصوف.

-كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن على بن محمد الجزري، الجزء الأول، ويعد هذا الكتاب من أمهات كتب التراجم، اعتمد فيه على الأقوال المشهورة عند أهل العلم بالسير ، واستفدنا منه في تعريف الصحابة –رضوان الله عليهم-.

-كتاب اللُمَع، لأبي نصر السراج الطوسي، والذي أفادنا في معرفة مظاهر الزهد في عهد الرسول-صلى الله عليه وسلم-والصحابة والتابعين-رضوان الله عيهم-..

-كتاب معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب النقاب عن سر لب الألباب، لعبد الله أحمد بن عجيبة وقد أفادنا هذا الأخير في معرفة مصطلحات التصوف.

- كتاب المعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار للمؤرخ الوزير لأبي لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني 713هـ ./776م، وهو كتاب من أطرف كتب المؤلف الشهيرة فقد صاغه على هيئة مقامة أدبية مستهدفا وصف أهم المدن الأندلسية والمغربية، جغرافيا واجتماعيا في منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي.

أما عن المراجع فقد اعتمدنا على مجموعة وهنا عرض لأهمها:

-كتاب الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، والذي أفادنا في معرفة بداية التصوف، وانتقل التصوف من المشرق إلى بلاد المغرب، ومظاهر التصوف.

-كتاب التصوف المنشأ والمصادر، لاحسان إلهي ظهير، وقد أفادنا في البحث في بدئ التصوف، وظهوره.

12-كتاب التصوف الإسلامي-الطريق والرجال- لفيصل بدير عون والذي استفدنا منه في معرفة رجال التصوف وشرح لبعض المصطلحات التصوف.

-كتاب دراسات في التصوف الإسلامي- شخصيات ومذاهب-، لمحمد جلال شرف، وقد أفادنا في معرفة مظاهر الزهد في حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وحياة الصحابة والتابعين —رضوان الله عليهم-.

-كتاب تاريخ المغرب الكبير، لمحمد علي دبوز، والذي أفادنا في معرفة الظروف السياسية لبلاد المغرب.

الدراسات السابقة:

عثرنا على دراسات أكاديمية سابقة تناولت الحركة الصوفية في بلاد المغرب إلا أنه ما لوحظ ان أغلب الدراسات اهتمت بالفترة الحديثة والمتأخرة للتصوف، وعليه لم نجد إلا بعض العناوين كرسالة الماجستير مساهمة الحركة الصوفية الثقافية والاجتماعية في المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث والخامس هجريين، لمحمد دبوب، وأطروحة دكتوراه التصوف في القرنين الثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه لأبو الخير تراسون.

الفصل الأول

بدايات التصوف في بلاد المغرب الإسلامي

أولا: انتقال الزهد إلى بلاد المغرب.

أ- رحلات الزهاد المشارقة إلى بلاد المغرب.

ب- رحلات الزهاد المغربة إلى بلاد المشرق الإسلامي.

ثانيا: تطور حركة الزهد في بلاد المغرب الإسلامي.

ثالثا: شخصيات المتصوفة الأوائل في بلاد المغرب.

أولا: انتقال الزهد إلى بلاد المغرب :

تعتبر بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز([1]) إلى المغرب البدء الفعلي في تعلم علوم الدين والتي كانت تتكون من عشرة فقهاء ليفقهوا أهلها ويعلموهم الحلال والحرام وهؤلاء الفقهاء هم موهب بن حيّ المعافري([2]) الذي سكن القيروان وبثّ فيها علما كثيرا، وحبان ابن أبي جبلة ([3]) وإسماعيل ابن عبيد الله ابن الأعور القرشي (ت131هـ .)([4]) ، وإسماعيل بن عبيد الله مولى الأنصار(107هـ .)([5]) وهو الآخر انتفع به أهل المغرب كثيرا. وأيضا طلق بن حابان([6])وبكر بن سوادة الجذمي(ت.128هـ .) ([7]) وعبد الرحمن بن رافع التنوخي(ت:113هـ .)([8]) ، الذي ولّاه

[1] عمر بن عبد العزيز: خامس الخلفاء الراشدين، هو من أولاد عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– بواسطة أمه أ م عاصم ولي خلافة المسلمين 99هـ .، ت:101هـ .، أنظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج:01،ص:269،265.

[2] موهب بن حي المعافري: تابعي، صحب ابن العباس وروى عنه وعن غيره من الصحابة توفي بالقيروان،أنظر: : أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: رشيد البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، ج:01، دار الغرب الإسلامي، ط:01، بيروت لبنان، 1043هـ ./1983،ص:110.

[3]حبان بن جبلة: القرشي المصري تابعي، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبدا لله بن العباس وعمرو بن العاص، ت.122هـ .، أنظر: المصدر نفسه، ص: 111.

[4]إسماعيل بن عبيد الله بن الأعور القرشي: هو أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الأعور القرشي المخزومي ولاه عمر بن عبد العزيز إفريقية100هـ .، كان من اهل الدين والزهد توفي بالقيروان 132هـ .، أنظر: المالكي، المصدر نفسه، ص:115.

[5]إسماعيل بن عبيد الله مولى الأنصار: الملقب بتاجر الله ، صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم كعبد الله بن العباس، قيل انه بنى مسجد الزيتونة سنة71هـ .، ت.107هـ .، سمي بتاجر الله لأنه جعل ثلث كسبه لصرفه في وجوه الخير، أنظر: المصدر نفسه، ص: 106.

[6]طلق بن حايان:ويقال ابن جعبان الفارسي كان فقيها' عالما روى عن مجموعة من الصحابة، أنظر،المالكي، المصدر نفسه، ص:117.

[7] أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذمي: المصري الفقيه تابعي روى عن عبد الله بن عمر بن العاص وسعيد بن المسيب سكن القيروان ت . 128ه ، المصدر نفسه، ص: 112.

[8]أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي: روى عن عمرو بن العاص، ت.113هـ .، بالقيروان، أنظر:المالكي، المصدر نفسه، ص: 110

موسى بن نصير القضاء بعد الفتح وعبد الله بن يزيد(ت 100ه) ([1]).وسعيد بن مسعود التجيبي ([2])وأبو سعيد جعثل بن هاعان (ت.115هـ .)([3])

وكان السبب في إرسال الخليفة لهذه البعثة هو ما لاحظه من أن شيوع الإسلام بالمغرب لم يكن إلا أمرا سطحيا، وقد كان لها أثر كبير في نشر السنة وتفقيه الناس في أمور الدين حيث: إختط كل واحد منهم دارا لسكناه و بنى مسجدا محاذيا له وإتخذ بقربه كتابا لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العربية وأشاعوا الرشد وعلموا الحلال والحرام ([4]).وحرصوا على الأمن والتآخي والمساواة، وكان قدوم هؤلاء الفقهاء إلى المغرب وانتقالهم في ربوعه مرحلة هامة من مراحل انتشار الإسلام فيه.

و لم يقتصر نشر الإسلام على هذه البعثة ،بل كان لغيرهم من التابعين فضلهم أيضا في تعليم أهل المغرب أمر دينهم ،كأبو عبد الله علي بن رباح بن فقير اللخمي (ت 114ه)،الذي قدم المغرب مجاهدا وسكن القيروان واختط بها دارا ومسجدا وانتفع على يده أهل القيروان([5])، وكذلك عبد الله بن أبي بردة القرشي انتفع به أهل المغرب انتفاعا كبيرا ولي قضاء إفريقية سنة 99ه، وقد سار

[1]هو أبو عبد الرحمن الحبلي :التابعي، شهد فتح الأندلس، سكن القيروان، وتوفي بها 100ه .، أنظر المالكي، رياض النفوس، ج:01، ص:99.

[2]هو أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي :الكندي المصري، صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم، اشتهر بالدين والعقل وقلّة الهيبة للملوك، سكن القيروان، وتوفي بها. أنظر: المصدر نفسه، ص:102.

[3]هو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب، وهو من التابعين، كان من أهل الدين والزهد، أنظر: المالكي،المصدر نفسه،ص:114.

[4]ابراهيم علي التهامي، أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في محاربة الانحرافات العقدية من الفتح حتى القرن الخامس هجري، أطروحة دكتورة، ج:01، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1412هـ .، ص: ص:43،41.

[5] – المرجع نفسه، ص:45.

في أهلها بسيرة أهل العدل وأقام فيهم كتاب الله -تبارك وتعالى- وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-. وبذلك تكونت حولهم جماعات مؤمنة متمسكة بالكتاب والسنة واستقرفي نفوسهم ذلك ولا شيء بعده.

أما بالنسبة إلى طرق الإنتشار فهي كالآتي:

أ- رحلات الزهاد المشارقة إلى بلاد المغرب:

كان ممن قدم إلى بلاد المغرب نفر من الزهاد الذين نزعوا إلى الزهد وعايشوا أهله حتى أصبح علما وأصبحوا أعلاما فيه.

فمن أوائل الزهاد الذين وفدوا من بلاد المشرق الإسلامي كما ذكرنا سابقا العشرة التابعين الذين أرسلهم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز،بالإضافة إلى زهاد آخرين غيرهم قدموا إلى هاته الربوع واستمالوا أهلها إلى تتبع هذا السلوك السوي ومن بينهم ذو النون الأخميني المصري ([1])الصوفي، الذي قدم إلى إفريقية وبث بعض آرائه

في المغرب، كما قدم أبو عبد الله الصبيحي البصري، الذي أخرجه أهل البصرة من مدينتهم فتوجه إلى بلاد المغرب، واستوطن السوس، حتى توفي هناك([2]).

ب- رحلات الزهاد المغاربة إلى بلاد المشرق الإسلامي:

[1] ذو النون الإخميني المصري: هو ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض بن ابراهيم،كان أبو نوبيا أي من بلاد النوبة بمصر، ت.245ه، أنظر: أبو القاسم القشيري،الرسالة القشيرية، تح: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف،ص:45.

[2] محمد البركات البيلي،الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، مصر، 1993، ،ص:97.

بعد عصر الفتح أخذ طلاب العلم والحجيج يشدون الرحال إلى المشرق ، وكان لهم هدفان أداء فريضة الحج وطلب العلم، لذلك كانوا يقصدون حواضره الكبرى مكة المكرمة والمدينة المنورة وبغداد والكوفة والبصرة ودمشق، وهذا ساعد العلماء على الأخذ مباشرة من منابع الفكر والتشبع بآراء الفقهاء، ومن بين العلماء الذين ارتحلوا إلى المشرق أبو عبد الله محمد بن مسروق الزاهد ([1])، لقي في رحلته إلى الإسكندرية أبا شريح المتعبد الاسكندراني، وكان منهم أبو عبد الله محمد بن احمد السوسي ([2])والذي قال عن الزهد:" هو تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف سرّاً وجهراً".

وكان ممن ارتحلوا أيضا البهلول بن راشد وعبد الملك ابن أبي كريمة، سمع عن مالك بن انس وسفيان الثوري عرف بأنه مستجاب الدعوة ونسبت إليه كرامات كثيرة وله كتاب في الزهد روى عنه بعض المشارقة وكثير من أهل المغرب كسحنون بن سعيد، ووصف ابن أبي كريمة بأنّه من العلماء الكرماء الفضلاء الزهاد، ومنهم أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي كان فقيها رحل إلى المشرق وقدم إلى المدينة المنورة، سنة 170هـ ،. توفي سنة 240هـ .([3])، وأيضا أبو العياش أحمد ابن موسى بن مخلد

الغافقي والذي كان شيخا صالحا فقيها حسن التقييد متعبد وورع، ينهى عن الغيبة في مجلسه يميل إلى المواعظ رحل إلى المشرق وسمع به جلّة من العلماء، فلّما عاد إلى المغرب سمع منه خلق كثير من

[1] أبو عبد الله محمد بن مسروق:كان رجلا صالحا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة،ترك الدنيا عن مقدرة رغبة منه فيما عند الله –عزّوجلّ–، أنظر: المالكي، رياض النفوس،ج:01، ص: 194.

[2]ابو عبد الله محمد بن أحمد السوسي: أصله من السوس الأقصى، ثم انتقل إلى إفريقية فسكن القيروان، كان رجلا فاضلا، ورعا، زاهدا، انظر: المصدر نفسه، ص:196.

[3]المالكي، المصدر نفسه، ص:385.

أهل القيروان. وكان منهم أبو عمرو بشير بن عمروس ([1]) المتعبد بالمنستير ([2])، كان من المنقطعين إلى الله –عزّ وجلّ–، رحل إلى المشرق، فحجّ ثم دخل الشام، فلقي جماعة من الصلحاء فانتفع بهم.

ثانيا: تطور حركة الزهد في بلاد المغرب الإسلامي:

تطور الزهد في بلاد المغرب مؤديا إلى التصوف على نحو ما حدث في المشرق الإسلامي، وكما أنه لم يكن من اليسير تحديد بداية قاطعة لبدئ التصوف في المشرق الإسلامي، فإن تحديد هذه البداية للتصوف في المغرب الإسلامي أشد صعوبة وأبعد منالا وترجع صعوبة ذلك إلى عدة عوامل، منها اختلاط المتصوفة بالزهاد اختلاط شديد واستمرار تواجد الزهاد بعد ظهور التصوف وتشابه كثير من أنشطة الزهاد والمتصوفة الأوائل، وهذا ما جعل من العسير التمييز بينهم في كثير من الأحيان لاسيما وان سكان المغرب كانوا يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل منهما.([3])

ففي القرون الأولى يصعب الفصل بين العباد وتصنيفهم بين فقيه ومتصوف، فتلك الفترة كان جل رجالها يجمعون بين مواصفات الفضل والخير والعلم. كالأولياء والصلحاء الذين كانوا ذوي قسط من العلم لأن العلوم الإسلامية كانت رائجة آنذاك، ورجال العلم والثقافة كانوا على

[1] المالكي، رياض النفوس،ج:01،المصدر نفسه، ص:420.

[2] المنستير: موضع بين مهدية وسوسة بإفريقية، يسكنه قوم من اهل العبادة والعلم وهو خمسة فصول يحيط بها سور واحد، أنظر: شهاب الدين أبي الياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مج: 05، دار صادر، بيروت، 1977/1397، ص: 209.

[3] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، ص:90.

مكانة عالية من الخشية والزهادة، إلى درجة لا تفصلهم كثير عن المتصوفة([1])، كما أنهم كانوا يطلقون لفظ العباد على كليهما وينعتوهما بكثير من الصفات المشتركة كالصلاح والورع والاجتهاد في العبادة، بل يسبغون الولاية ([2])على نفر من الفريقين دون تفرقة، وهذا ما صعّب أكثر التمييز بين الزهاد والمتصوفة. فعلى سبيل المثال، لا نكاد نميز عابدا مثل أبي سنان زيد الأسدي ([3])هل هو من الزهاد أم من المتصوفة، فقد وصف بأنه كان ذكيا ثبتا، زاهدا، ورعا، وليا، من أولياء الله تعالى، متواضعا، كما وصف أبو عثمان الجزري ([4])بأنه كان وليا من أولياء الله تعالى المنقطعين إليه المتبتلين في العبادة، و لم تكن الولاية هي التي يتحلى بها بعض الزهاد، وإنما أيضا الوتدية([5])، اتصف بها بعضهم كالبهلول بن راشد ([6]) مع العلم بأنه كان زاهدا وليس متصوفا، ومما زاد من صعوبة التمييز بينهما هو أنه الصوف كان لباسا مشتركا بينهما

لكن الإشارة إلى التنسك والنساك تفيد في التفرقة بينهما وقد وصف بأن المتصوفة كانوا أشد تنسكا بين العباد في المغرب الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك فإن بعضهم مثل إسماعيل بن

[1]عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس هجري التاريخ والفكر، دار الرشاد الحديثة، ط:01، الدار البيضاء، المغرب، 1420ه ./2000، ص:247.

[2]الولاية:اسم ولي هو القريب من الله بالإيمان والتقوى، والولي هو من تولى الله أمره، انظر: ماسينون مصطفى عبد الرزاق، التصوف، تح: ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، ط:01، 1984، ص:84 ، وانظر أيضا: أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، 2000، ص:95.

[3]أبي سنان زيد الأسدي:ولد 155ه .، كان فقيها مؤمنا متواضعا ، تقيا، ت.244ه .، دفن بباب الربيع، أنظر: عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضي، ج:02، مكتبة الخانجي، المكتبة العتيقة، مصر، تونس، 1987، ص:108.

[4]أبو عثمان الجزري: كان من أولياء الله تعالى، انظر المالكي، رياض النفوس، ج:01، ص: 32.

[5]الوتدية: جمعها الأوتاد الراسخون في معرفة الله ، هم أربعة كأنهم أوتاد الكون ،أنظر: ابن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تح:عبد الجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص:80.

[6]البهلول بن راشد: هو أبو عمر من اهل القيروان، كان ثقة، مجتهدا، ورعا، مستجاب الدعوة، هو وتد من أوتاد المغرب، أنظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تح: محمد سالم هاشم،ج:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:01، 1998/1418، ص:188.

عبيد الأنصاري الذي وصفه سعيد بن المسيّب بأّنه تنسك نسك العجم.([1])، وهذا ما يجعلنا نستنتج أن بداية التصوف في المغرب الإسلامي لم تتأخر كثيرا عن بدايته في الجناح الشرقي للإسلام، ومن ثمّ تصاعد الزهد بدوره مؤدياً إلى التصوف متصاعدا في الأفق منذ نهاية القرن الثاني للهجرة.([2])

ثالثا: شخصيات المتصوفة الأوائل في بلاد المغرب:

عرف التصوف رواجا كبيرا في منطقة المغرب الإسلامي، حيث برز عدد من الصالحين، الذين اتخذوا الزهد منهجا في حياتهم، ومن بينهم أبي حفص عمر بن عبد الله الفتال ([3])، الذي أضفيت عليه صفة البدلية ([4])فهو من الأبدال الأصفياء المجتابين كما تميّز تميّز بهاته الصفة أبي يزيد رباح ابن يزيد اللخمي وكان صالحا فاضلا زاهدا مستجاب

[1] المتصوفة محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتّى القرن الخامس هجري ، ص:ص:91،93.

[2] من وجهة نظرنا.

[3] أبو حفص بن عمر بن عبد الله الفتال: كان من فضلاء المؤمنين الأصفياء المجتابين، انظر: المالكي، رياض النفوس،ج:01 ص:197.

[4] البدلية هي مرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية، وللوصول إلى هاته المرتبة عليهم بصدق الحديث وسخاء الأنفس وصدق الصدور، وسمّو بذلك لأنهم ا بدلوا من السلف الصالح، كما استبدلت مساوئهم من المحاسن، أنظر: ابن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التشوف، تح: عبد المجيد خيالي، ص:79. وأنظر: التادلي، التشوف على رجال التصوف، تح، احمد توفيق، ص:45. وانظر:هادي العلو، مدارات الصوفية تراث الثورة المشاعية في الشرق، دار المدى، ط:01، سوريا، 1997، ص:111

الدعوة، وكان من طبقة البهلول بن راشد (ت.127هـ .)([1])، دفن بباب سلّم، بجوار قبر البهلول، كما وصف أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبي بأنه كان ناسكا وهو من أوائل عباد المغرب، وذكر أنّه تخلى عن الدنيا وتجرد منها، وسلك طريق أهل الصدق .([2])

وسواء اعتبرنا هذا بداية التصوف أو مجرد إرهاصة، فإنه يطالعنا أول لقب أطلق على مغربي متصوف هو أبو سليمان داوود بن يحي (159هـ . – 249ه) .، حيث وصف بأنه كان ثقة مأمونا صالحا فقيرا، لم تكن له رحلة إلى المشرق([3])، ومن ثم فإن تصوفه كان محليا، نتج عن عوامل محليّة، أدت إلى ظهور التصوف والتي كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، ويمكن القول أن المدّة التي استغرقها تصاعد الزهد تقرب مثيلتها في بلاد المشرق ولا غرابة في ذلك، لأن كل التيارات التي تظهر بوادرها في الجناح الشرقي في الإسلام تهبّ رياحها في الجناح الغربي له. ونذكر أيضا موسى بن معاوية الصمادحي:(ت.225هـ .)، و أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك القيرواني، الذي صحب الأبدال وتوفي بدمشق، وأيضا أبو عبد الله المغربي السوسي (ت.279هـ .)، وصف بأنه من الأوتاد ([4]) متجرد عن الدنيا، ونذكر أيضا أبو عبد الله محمد بن أبي حميد السوسي المستجاب، لقد وصف بأنه كان عظيم القدر كبير الشأن من الأبدال (ت.293هـ .)([5])ونذكر أيضا أبي القاسم المغربي تلميذ أبي بكر بن سعدان وكان أبو القاسم المغربي مكينا في التصوف يحفظ المتصوفة أقواله ويستشهدون بها وهو القائل:"

[1] المالكي، رياض النفوس، المصدر السابق، ص:300.

[2] المصدر نفسه، ص:194.

[3] الدباغ، معالم الإيمان، تح: محمد الأحمدي أبو النور،أحمد ماضي، ج:02، ص:120.

[4] الأوتاد:الراسخون في معرفة الله، وهم أربعة كانوا من أوتاد الكون.، أنظر، ابن أبي عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، ص:80.

[5] االمالكي، رياض النفوس، تح: تح: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي،ج:01، ص:196.

التصوف استقامة الأحوال مع الحق".وأيضا أبو الخير الأقطع التنياتي الذي سكن التنيات، قرية قرب المصيصة على ساحل الشام فنسب إليها.

وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري فقيها ناسكا من العباد الزاهدين المريدين المتوكلين السائحين، ساح في البلدان وحجّ حججا كثيرة، وكذلك أبو القاسم حسن بن مفرج كان من العباد الزهاد المريدين ينتحل التوكل كثير الحج والأسفار.

ونذكر أيضا أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي، كان من قرية كركنت بالقيروان، صحب عددا من أجلاء مشايخ الصوفية مثل أبي علي الكاتب، وحبيب المغربي، أبي عمرو الزجاجي، وكان أبو عثمان أقام بالحرم مدة قصيرة ثم رحل إلى نيسابور ومات بها ورحل ومات بها373ه ..([1]).

وكذا الزاهد أبو خالد عبد الخالق المعروف بالقتاب ([2])، الذي كان من المجتهدين في العبادة راغبا في الآخرة كثير الخوف دائم الحزن، وغير هؤلاء كثيرون، ممن كانوا قائمين على كتاب الله قراءة ومدارسة وامتثالا لأوامره ونواهيه، ودعوة لما فيه من الزهد والورع والتعفف، ولقد كانت سمات الزهاد الأوائل بادية من خلال بكائهم عند سماع القرآن أو سماع الموعظة، وكانت لهم في هذه الميادين مقامات عالية، فيها دلالة على عظيم زهدهم، وخوفهم وخشيتهم من الله تعالى واليوم الآخر، لقد كان منهم من يقطع الليل كله في العبادة ومناجاة الله تعالى، كما كان يفعل عبد الملك بن أبي كريمة الزاهد(ت.204ه .)، الذي كان يقوم الليل كله، وكذا عبد الله حمدون بن عبد الله العسال(ت.244ه .)، الذي كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد في العبادة، يصلي ثلث الليل وينام ثلثه ويبكي ويدعي ثلثه وكذا عيسى بن دينار (ت.212ه .).

[1] محمد البركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ص:97.

[2] هو أبو خالد عبد الخالق المتعبد، يعرف بالقتاب وقيل القتات، كان من طبقة المجتهدين صاحب البهلول بن راشد، أنظر: المالكي، المصدر السابق،ص: 324.

وكان عبد الرحيم المستجاب(247هـ .) غاية في الزهد في الدنيا ومتاعها رغم الأموال الكثيرة التي كان قد ورثها من أبيه وكان آية في العبادة والإقبال على الله تعالى حيث تذكر مصادر ترجمته أنه كان إذا جن الليل قام إلى محرابه فهو راكع وساجد إلى أن ينادى بالفجر، ولما توفي رثاه بعض الشعراء بمراث جاء فيه:

قال حاتم الجبنياني:

لَهَفي عَلَى عَبْد الرَحيم وفَضْله ∴ حَتَى المَمَات بكُل قَلْب يَسْتَعر

مَا كَانَ أَتْقَاه وَأَحـ ْ . . . . . سن أَمره ∴ في الله يَسْعَى قَدْ تَشمر واتـ . . . . . زر

أَمَا النَهَارُ فَصَائم مُتَهَجـ . . . . . ـد ∴ واللَّيلُ يهتف بالقرآن السـ . . . . . ـحر ([1])

أمّا بكاؤهم عند سماع القرآن أو الموعظة، فكانت لهم أيضا مقامات عالية فيه ومن ذلك ما ورد في ترجمة أبي عبد الله العسال،أنه قرأ ليلة قوله تعالى:" قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" ([2])، فسقط على وجهه في المحراب فأقام ساعة وهو على تلك الحال، وكان سبب موت أبي يوسف حجاج بن أبي يعقوب السرتي(ت.349هـ .) أنه سمع قارئا يقرأ آية الكرسي فلم يزل يردها وهو يبكي حتى حمل إلى بيته ففاضت نفسه.([3])

وكان حمدون بن مجاهد الكلبي(ت.321هـ .) من أهل الزهد وروي عنه أنه صلّى بالناس التراويح فلما ختم بهم ليلة السبع والعشرين أخذ في الدعاء والبكاء والناس حوله فتاب تلك الليلة ممن يشرب المسكر سبعين رجلا.

[1] -المالكي، رياض النفوس، ج:01، تح: بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، ص: 430.

[2] سورة يوسف، الآية86.

[3] ابراهيم علي التهامي، أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية من الفتح الإسلامي على نهاية القرن الخامس هجري،ج:02، ص:532.

وهذا الإمام أبو الوليد يونس بن مغيث(ت.429)، الذي كان من أهل العلم والفقه وكان كثير الخشوع لا يتمالك من سمعه عن البكاء مع الخير والفضل والزهد في الدنيا والرضى من اليسير. تلك كانت بداية التصوف وهكذا كان حال الزهاد الأوائل.

الفصل الثاني

عوامل انتشار التصوف في بلاد المغرب ومظاهره

- **أولا: عوامل انتشار التصوف:**
- أ- البعد الأخلاقي.
- ب- الأسباب السياسية.
- ج .- الظروف الاجتماعية والاقتصادية.
- **ثانيا: مظاهر التصوف في بلاد المغرب الإسلامي.**
- أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ب- حلقات العلم ومجالس الذكر.
- ج .- الرباط والحرس المغاربي.
- **ثالثا: موقف الإمام مالك من التصوف.**

أولا: عوامل انتشار التصوف:

أ- البعد الأخلاقي:

لا جدال في أن السمو الأخلاقي وتصفية النفس من الشرور والآثام والارتفاع إلى أعلى درجات الكمال الخلقي من الأمور الأساسية في التصوف فالجانب الخلقي([1]) هو من أبرز المظاهر المميزة للاسلام الصوفي، ويتجلى ذلك في استقامة السلوك والتخلي عن رذائل الصفات وعلى المتصوف أن يتحلى بالصلاح والفضل والتقوى والورع لأن الأخلاق هي جوهر التصوف.([2])

لقد ظهر التصوف في بلاد المغرب نتيجة لجنوح الناس إلى مخالطة الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده، فكان ذلك من شأنه أن يتخذ المقبلون على العبادة الزاهدون في الدنيا اسما يميزهم عن عامة الناس، فبعد أن فتح المسلمون بلادا زاخرة بالخير مليئة بمفاتن الحياة وهي الأندلس، وصقلية، وكرد فعل لهذه الحياة الفارقة من هذا الجو فلبس ثوب الزهد للفرار من هذا العالم المضطرب والإفلات من أيدي هذه الفتن والعكوف على العبادة في المساجد والزوايا والخلوات.([3])

ومن هنا نستنتج أنه من العوامل الرئيسة لبروز التصوف هو النزعة الأخلاقية التي تكمن في نفس كل بشر سوي.

---

[1] محمود حمدي زقزوق، قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، دار المنار للنشر والتوزيع ط:01، القاهرة، 1988/1409، ص:132.

[2] محمد بن الطيب، اسلام المتصوفة، دار الطليعة، ط:01،بيروت، لبنان ،2007، ص:29.

[3] عبدالكريم الخطيب، التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، دار الفكر العربي، ط:01، مصر، 1980، ص:77.

ب- الأسباب السياسية:

كانت فترة خلافة عمر بن عبد العزيز99-101هـ ./718م-720م، ذات سياسة إصلاحية وهي إعادة الدين الإسلامي إلى أصوله وتطبيق أحكام الشريعة على جمع المسلمين، خاصة في بلاد المغرب، فقد بعث عشرة فقهاء تابعين إلى العلم والفضل ليعلموا أبناء المغرب شرائع دينهم كما ولى عليهم اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي اشتهر بالتقوى والورع فكرس جهده في سبيل تطبيق العدالة والمساواة بين المسلمين جميعا فكان خير والي وخير أمير وقد اتخذ الخليفة عمر بن عبد العزيز سياسة تتفق مع طبائع ونزعات البربر حيث أشركهم في تسيير الإدارة وترك لهم حرية التصرف في شؤونهم يباشرون السلطة ويديرون أمورهم بأنفسهم أو بمعنى أصح منحهم الحقوق السياسية.([1]) لكن عهده لم يدم طويلا فبعد وفاته عادت السياسة الأموية إلى الاستبداد وسوء مسايرة عمالها لأهل المغرب، الذين اتبعوا سياسة مالية جائرة، حيث أثقلوا عليهم بالضرائب والجبايات ، كما انها قامت على مبدأ النفوذ العربي الذي حال بين البربر وبين ما يطمحون إليه من مساواة ومشاركة في السلطة، فاندفعوا لمناوئة الحكام العرب واستجابوا لكل دعاة الثورة من خوارج وعلويين، فنشبت المعارك في بلاد المغرب بين العرب والبربر ثم بين العرب أنفسهم من قيسية ويمينية، فتلظى المغرب بنار الفتن ما إن تخمد حينا حتى تندلع حينا آخر .

وعلى الرغم من هدوء الأحوال نسبيا مع قيام الدويلات المستقلة في فاس وتيهرت وسجلماسة وافريقية إلى أن الكثير من سكان المغرب لاذوا إلى الزهد والتصوف ليجدوا فيه الطمأنينة والنجاة من ويلات هذه القلاقل التي كانت تهددهم دائما.وقد ساست الدولة العباسية

[1] عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة،ط:02، 1999، ص:45.

نفس الطريق الذي سلكته الدولة الأموية سابقا، مما جعل الزهاد والعباد ينتهجوا منهج العزلة ويرفعوا شعار الإسلام والدعوة إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-([1]) .

ج . .- الظروف الاجتماعية والاقتصادية:

إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي سيطرت على بلاد المغرب في القرنين الأول والثاني للهجرة كان لها دور كبير في دفع الناس إلى التصوف ،فمن المعلوم أن المجتمع المغاربي كان يسوده النظام القبلي والذي ظهرت فيه الفوارق الاجتماعية بوضوح واتساع، فبين قمة الهرم وقاعدته مسافة واسعة وجفوة كبيرة فتجد في قمة الهرم أصحاب الامتيازات والثراء والقصور وهم العرب الفاتحون وقادتهم، وفي القاعدة الفقراء والمحرومين وهم البربر وهذا كان سببا في بروز الصراعات والفتن الداخلية وتوجه بعض الفئات من الناس إلى الزهد.([2])

بالإضافة إلى الرخاء الاقتصادي الذي مس بلاد المغرب خاصة بعد فتح جزيرة ايبيريا والذي أدى إلى وقوع ثروات طائلة في يد المسلمين فأخذ العرب النصيب الأكبر من الغنائم وعملوا على تناسي البربر. وبلا شك فإن هذه الأجواء سببت تحولا مفاجئا لمجموعة من الناس وخاصة المتدينين وأجبرتهم أن يفروا بدينهم من هذه الحياة الفاتنة وأن يبتعدوا في الأماكن الخفية من هذا المجتمع وبذلك نتجت عن هذه الظاهرة الآثار التي تسوق أفكارهم إلى الزهد والمبالغة فيه كرد فعل يحفظ تعاليم شريعتهم.([3])

[1] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط:02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:107.

[2] جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3-4هـ ./9-10م، دار المطبوعات الجامعية ، 1992، ص:492.

[3] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997، ص :229.

ثانيا: مظاهر التصوف في بلاد المغرب الاسلامي:

أ- : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الزهاد في بلاد المغرب يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يخشون في ذلك إلى الله -عزّ وجلّ-، ولم يقتصر ذلك على العامة وحدهم وإنّما امتدّ إلى الخاصة بما فيهم الحكام وذوي السلطان، فالبهلول بن راشد لم يسعه السكوت على ما عزم عليه محمد بن مقاتل العكي والي إفريقية181هـ .([1]) من إرسال نحاس وحديد وسلاح إلى ملك الروم، فنهاه ووعضه وألّح في ذلك لكن العكي، أمر بحبس البهلول بن راشد، وضربه وقد كان في ذلك أثر كبير في نفوس الناس، حتّى أنهم ألقوا بأجسادهم على البهلول يمنعوا السياط من الوصول إليه، وضجّ الناس داخل افريقية وخارجها.

وقدم حفص بن عمر الجزري من جزيرة شريك([2])، إلى أبي عباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب، حينما أثقل على الناس وفرض عليهم من الضرائب ما ضجوا منهم، وصحب حفص بن عمر الجزري في قدومه جماعة من عباد وصلحاء جزيرة شريك، فوعض أبا العباس وطلب منه أن يخفف عن الناس ويسقط عنهم ما ثقل عليهم من الضرائب فامتنع أبو العباس عن

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح: ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال، ج:01، ط:03، دار الثقافة، بيروت، لبنان،1983، ص:89.

[2] جزيرة شريك: هي جزيرة تقع بين مدينة سوسة ومدينة تونس، تنسب إلى شريك العبسي، أنظر: أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي ، مصر، ص:45.

اسقاطها، فدعا عليه حفص بن عمر الجزري، ومن معه فلم يلبث أبو العباس إلا خمسة أيام ثم خرجت له قرحة تحت أذنه مات منها بعد يومين .([1])

كان اسماعيل بن رباح الجزري معظما لأمر الله –عزّ وجلّ- لا يكاد يرى منكرا إلّا غيّره، فقد نهى الفضل بن أبي العنبر والي جزيرة شريك عن وضع ثقله في أحد مساجد الحصون.

وأمر أبو الأحوص أحمد بن عبد الله المتعبد بسوسة ابراهيم بن أحمد الأغلبي بتوسيع مسجد سوسة، وإصلاح سقايتها وإخراج المحبوسين.

وكان بعض الزهاد لا يكتفون بأمر الحكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإنّما كانوا يتصدون لمظالمهم ويدفعونها عن العامة إذا لزم الأمر، فقد كان أبو خالد عبد الخالق القتاب كثير المعروف قليل الهيبة للحكام، رفض أن يقبل مالا من ابراهيم بن الأغلب.

وهكذا كان الزهاد في المجتمع المغربي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتصدون مظالم الحكام فكان الناس عامتهم وخاصتهم يجلون الزهاد ويوقرونهم مما مكن في النفوس وكان له كبير الأثر في استمالتهم إلى الزهد.([2])

[1] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة حتى القرن الخامس الهجري، ص:61.

[2] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، ص: 62.

ب- : حلقات العلم ومجالس الذكر:

كان كثير من الزهاد وأهل العلم يعلمون الناس أمور دينهم و يفقهونهم فمثلا إسماعيل بن عبيد الأنصاري تاجر الله وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر والعديد من العلماء لهم حلقات علم يقصدها الطلاب لأخذ العلم عنهم والتلقي عليهم ،كحلقة حماس بن مروان وغيره، بل كان للبعض منهم مساجد تنسب إليهم يعقدون فيها حلقاتهم، فمنهم من اختصت مجالسه بالذكر والسماع مثل مسافر ابن سنان الواعظ الذي كان الناس يجتمعون إليه للذكر والمواعظ([1])، ولعل أشهر مجالس السماع والذكر في المغرب تلك التي كانت تعقد في مسجدي السبت والخميس وهما مسجدان كانا يقعان خارج سور القيروان على مقربة من بعضهما البعض.

أمّا مسجد السبت فقد سمي بذلك لأنه كانت تعقد فيه كلّ سبت مجالس الذكر من أول النهار إلى الزوال، وكان يحضره عدد من الزهاد والقراء والحفاظ وكان ينسب إلى أبي محمد الأنصاري الدمني الضرير، وكان يعرف أيضا بمسجد الدمنة لكنه عرف فيما بعد من وقت الدباغ بمسجد العربي نسبة إلى رجل كان يدعى محمد العربي، وكان يقوم على خدمته، وقد غيّر مسجد السبت عمّا كان عليه في بادئ الأمر سواء في بنيانه أو فيما كان يجري فيه فلا يقرأ فيه إلا القرآن الكريم الذي كانت القلوب تخشع لسماعه خشوعا عظيما.([2])

[1] المالكي، رياض النفوس، تح: بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، ص:199.

[2] المصدر نفسه ص:.495

لكن فيما بعد تغيرت أحواله فبدأ القوالون يقولون فيه أشعار في الزهد، ويقولون في المواعظ وأهوال يوم القيامة وصفات أولياء الله تعالى ويركّبون عليها ألحانا عن طريق الحزن والخوف وكان المتعبدون الصالحون إذا سمعوها استراحوا إليها بقلوبهم وانشرحت نفوسهم وانصرفوا وهم خاشعون نادمون، وكان يحضر مسجد السبت عدد من القراء كما أشرنا آنفا، لكن يبدو أن إلقاء الأشعار المنغمة وما كان يعقبها من تصايح وآهات بعد أن كان الأمر مقتصرا على تلاوة القرآن الكريم جعل البعض يعزفون عن حضور مسجد السبت. وينتقدون ما يدور فيه.([1])

أما مسجد الخميس فقد بناه أبو إسحاق ابراهيم بن المضاء الزاهد صاحب أبو سعيد سحنون([2]) بالدمنة وكان على مقربة من مسجد السبت وقد اجتمع فيه الصلحاء وأهل الخير كلّ خميس من العصر إلى أول الليل، وتلقى فيه الأشعار والرقائق ([3])على نحو ما كان يجري في مسجد السبت ولكنه أكثر شهرة وأقدم عهدا كما كانت تعقد فيه ليلة النصف من شعبان، والنصف من رمضان حلقات الذكر.

وكان أمراء بني الأغلب يقصدونهم في هاتين الليلتين للتبرك بأبي محمد الأنصاري بدعائه، ويمكن القول ان مجالس الذكر والسماع كانت تستهوي كثير من سكان المغرب وتجتذبهم إليها فيحضرونها ويتأثرون بما يجري فيها.

كما كان لكثير من المتصوفة المغاربة حلقات علم يلتف فيها الدارسون حولهم ويتعلم فيها أهل المغرب شيء من علوم التصوف، فقد كان لأبي سنان زيد بن سنان طلاب يدرسون عنه

[1] محمد بركات البيلي،الزهاد والمتصوفة في المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ص:65.

[2] أبو سعيد سحنون: ابن سعيد بن حبيب بن حسان هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، ولد:160هـ . في مزنانة الشرق، أصله من الشام من حمص،كان فقيها ورعا، صارما في الحق، زاهدا في الدنيا، متخشن في اللباس، ت.240هـ .، انظر: المالكي، رياض النفوس ،تح: بشير البكوش محمد لعروسي المطوي،ج:01، ص:345.

[3] الرقائق: عبارة عما يغمض من حقائق العلوم والمعارف والأسرار، أنظر، أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار الفكر قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،د.س،ص:65.

العلم وكان يؤثر فيهم بشدة وأيضا حماس بن مروان الناسك كان له حلقة علم يدرس فيها الفقه وكان جبلة بن حمود فقيها يرابط بقصر الطوب حينا ويقوم إلى القيروان فيعقد فيها مجلس العلم ويسمع من الناس واعتاد أن يلقي في مجلسه كل يوم جمعة بعض الرقائق .

وكان حسين بن مفرج ذا عناية بالعلم وأيضا ربيع القطان كان له حلقة علم يلقي فيها ما تعلمه من كبار الصوفية في وقته مثل أبي الحسن علي ابن سهل الدينوري وأبي علي الكاتب. وربيع القطان لسان أهل افريقية في وقته في علم التصوف أشاد به أبو علي الكاتب ونوّه بسرعة ارتقائه لأعلى درجات هذا العلم، وكان لأبي مالك الدباغ حلقة علم أيضا يجتمع فيها أصحابه لتدارس علم الباطن([1])، فإذا اختلفوا في شيء قام أبو مالك إلى حلقة ربيع القطان فيبحثوا بين يديه ويسأله عما يريد.

في مثل هذه الحلقات والمجالس كان يدرس علم التصوف وتنشد الرقائق وهذا ما اجتـ ـذب أعدادا غفيرة من أهل المغرب ممن كانت تستهويهم هاته الأمور وبلا شك كان لذلك أثر كبير

في تصاعد نزعة التصوف في بلاد المغرب الإسلامي.

وقد عرف المتصوفة نظام الحلقات والاجتماعات التي كانت تعقد بإعطاء الدروس في المساجد ثمّ اخذوا ينتظمون إلى طوائف وطرق لكل نظامها الخاص الذي يلتزم به أفرادها. وكان قوام هاته الطرق جماعة من المريدين([2]) يلتقون حول شيخ ([1])مرشد يوجههم ويبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم والعمل.([2])

[1]علم الباطن: يراد به لفظيا ما خفي علمه عن المدارك أي المؤول،وهو مقابل للظاهر ، والباطن، اسم من أسماء الله الحسنى، أنظر: عبد الرحمن بوقارة وآخرون، معجم المصطلحات والإباضية، ج:01، سلطنة عمان، 1429هـ ،2006، ص:120.

[2]المريدين: ج.مريد، وهو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق ودخل تحت تربية المشايخ، وعليه ان يصاحب الأخيار ويجالس الصالحين وأن لا يعترض على شيخه في أي شيء، أنظر: الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي، رسالة آداب سلوك المريد، تح: محمد صفوان، محمد صافي، دار الحماوي، ط:01، 1414هـ ،1994م، ص:51.

ج .– : الرباط والحرس على الساحل المغربي:

كان الساحل المغربي عرضة للغارات المفاجئة التي يشنها عليه أعداء الإسلام، فكان من الواجب أن يراقب المسلمون سواحلهم، فاتخذوا منه ثغراً جعلوا الرباط([3]) فيه جهادا في سبيل الله –عز وجل–وأنشأوا عليه المحارس، والقصور وذلك من اجل حراسة المسلمين والسهر على أمنهم.

ولما كانت إفريقية أكثر عرضة للخطر من غيرها، فقد عجّت بالرباطات التي انتشرت على طول امتدادها وكانت سواحلها أسبق إلى معرفة الرباطات ثم تلتها بقية السواحل المغربية، وصار الرباط نظاما عسكريا دينيا له أصوله وقواعده .

ومن بين الرباطات التي اشتهرت في افريقية هو رباط المنستير الذي أنشأه هرثمة بن الأعين (179هـ ./181هـ .)([4])حين ولي على افريقية والواقع أنّ بنيان رباط المنستير، وقد تحمس أولوا الأمر والناس لإقامة الربط، وذلك من أجل دوافع أمنية ودينية إذ ابتغوا بها مرضاة الله وثوابه، فأقيمت في سوسة وصفاقس وغيرها .وشجع المسلمون بعضهم على السكن فيها جهادا واحتسابا.

انقسمت الربط إلى قسمين: أحدهما قامت بتشييده الدولة والاتفاق عليه والآخر أقامه الأفراد والجماعات الزاهدة، أما في الساحل المغربي فمن شرقه إلى غربه وجدنا عدة مناطق رئيسية

---

[1]الشيخ: هو الذي يدرس المريدين علم التصوف، وهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا يقينيا، أنظر: أيمن حمدي، معجم المصطلحات الصوفية، ص:74.

[2]محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة، ص: 102.

[3]الرباط: هو مكان يتمركز فيه المجاهدون للدفاع عن الدولة الإسلامية ضد أعدائها الكفار، وتنظيم الغزوات، أنظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، ج:01، ط:02، الجزائر، 2009، 173.

[4]محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، 1964، الجزائر، ج:03، ص:117.

كان يجتمع فيها عدد من الربط المتجاورة والمتقاربة مثلما كان في طرابلس وصفاقس وسوسة والمنستير وتلمسان، وبذلك شكلت على طول الساحل المغربي حزاما قويا يصعب اختراقه، والتسلل منه.

والملاحظ أن كثافة الربط في المناطق الرئيسية كانت تتزايد كلما كانت المنطقة أكثر عرضة للغارات البحرية المفاجئة، فقد كانت طرابلس كثيرة الربط وكانت قابس حصنا حصينا مصورة بالصخر الجليل ويحيط بها خندق كبير، وتتزايد الربط عددا وعدة كلما اتجهنا غربا على طول الساحل الإفريقي، ففي صفاقس يوجد عدد من المحارس كمحرس بطوية ومحرس حبلة ومحرس أبي الغصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة، ومحرس الريحانة، ومحرس بطوية هو أجمل رباطات صفاقس إذ كان به منار شاهق الإرتفاع يرقى إليه في 160 درجة وعلى مقربة من المهدية كان يوجد رباط قصر جمه الذي نسب إليه العابد الزاهد أبو السري واصل الجمي ([1]) وهو الذي اطلق عليه فيما بعد اسم قصر الرباط بالمهدية .([2])

ويلي ذلك جهة الغرب رباط المنستير ، أقدم محارس افريقية وأبعدها صيتا وأعلاها شأنا كان يسكنه على مر الأيام أمة من الناس ويقصده اهل افريقية، لوقت معلوم. وكان موسم الذهاب إلى الرباط هو شهر رمضان.

كان برباط المنستير عدة محارس أو قصور منها القصر الكبير الذي بناه هرثمة بن أعين، وكان له في يوم عاشوراء موسم عظيم يجتمع فيه خلق كثير، وكان عالي البنيان داخله ربض واسع وفي وسطه حصن كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض وفي القبة صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع ومنها قصر ابن الجعد وقصر دويب الذي يرجع إنشاؤه إلى القرن الثالث هجري، وقد سمي على أحد العباد

[1] ابو السري واصل بن عبد الله الجمي، أصله من جمة، كان من أهل الزهد والعبادة والنسك طلب العلم عن سحنون، توفي252هـ ،. أنظر: المالكي، رياض النفوس، ج:01، ص:431.

[2] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، ص:68.

الذين رابطوا فيه وتسميه العامة سيدي دويب ولازال قائما بكل تفاصيله المعمارية وقد تحول إلى مدرسة تسمى سيدي دويب، وبالمنستير أيضا قصر السيدة أم ملال عمة المعز بن باديس، وهي من جددت عمارته فأصوله تعود إلى القرن الثالث الهجري، وهناك من يقول أن أصوله تعود إلى القرن الثاني هجري.

وبين المنستير وسوسة يوجد رباط يسمى شقانص أو حقانص به قصر كبير محرس رباط منيع ثم يلي ذلك رباط سوسة والتي كانت تعرف بطرسوس المغرب لكثرة ما بها من محارس وقصور كقصر الطوب وقصر زياد وابن حبشي وسهل وطارق وكان أهمهم قصر الرباط الذي كان محرسا عظيما داخل سوسة مسور متقن داخله حصن ثان يسمى القصبة بجوفي المدينة.([1])

ويبدو أن الأمير زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلبي(201هـ -221هـ)([2]) قد بنى هذا الرباط أو زاد في عمارته سنة 206هـ ..

وعلى مقربة من سوسة([3]) في بلدة لمطة([4]) كان يوجد رباط أمر ببنائه ابراهيم بن أحمد الأغلبي حوالي سنة 245هـ /859م، وقد رابط بهذا القصر جماعة من العباد منهم أبو هارون

[1] محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، ص:69.

[2] ابن الوردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط:01، 1988/1408، القاهرة، ص:55.

[3] سوسة: من بلاد إفريقية، يقال لها البيضاء، وهي مدينة قديمة قديمة، على ساحل البحر، أنظر: محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان،ط:01، ص:331.

[4] لمطة: من بلاد السوس الأقصى بالمغرب بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل ومنها إلى البحر ثلاث أيام، أنظر: المصدر نفسه، ص:584.

الأندلسي ([1])ويلي ذلك غربا بين سوسة وتونس رباط يسمى الحمة وهي غير حمة مطماطة القريبة من قابس والمعدودة من بلاد قصطيلة وعلى مقربة من رباط الحمة يوجد جبل أدار الذي سكنه قوم من الزهاد ممن تخلوا عن الدنيا واعتزلوا الناس والتزموا سكن هذا الجبل يعيشون من نبات الأرض ومن صيد البحر، ويلي ذلك من جهة المغرب جزيرة شريك وكان بها عدد من الربط كرباط اسماعيل بن رباح الجزري،وبحذاء جزيرة شريك في البحر نحو الجنوب جبل زغوان وهو منيف يستدل له المسافرون أينما تواجهوا لارتفاعه الشاهق وكان مأوى للعباد والصالحين وخيار المسلمين.

وعلى امتداد الساحل المغربي من تونس إلى سبتة([2]) توجد سلسلة من الحصون، فتونس كانت قاعدة للأسطول الإسلامي ورباطا كبيرا يذود عن المسلمين، تتوافر لها منعة طبيعية وحصانة صناعية فهي في سفح جبل يعرف بجبل أم عمرو ويحيط بها سور حصين يزيد من حصانته خندق يدور حوله، وكان لها خمسة أبواب. وعلى مقربة من قرطاجنة كان يوجد رباط قصر الحجامين يليه غربا رباط ابن الصقر ويلي ذلك على ميسرة يوم وبعض يوم شرقي طبرقة قلاع بنزرت وهي حصون يأوي إليها أهل تلك الناحية إذا غزاهم الروم وهي غوث([3]) ورباطات للصالحين. وكان مرسى بونة منيعا تخرج منه السفن لتغزو بلاد الروم وجزر سردينيا وكورسيكا وما ولاها.

وكان بمدينة شرشال رباط يجتمع إليه خلق كثير كل عام. وإلى الغرب من مدينة تنس بينها وبين وهران رباط وهو عبارة عن ثلاث قلاع مسورة على جبل كبير بقرب أرزيو. ويلي ذلك

---

[1] أبو هارون الأندلسي: كان صالحا فاضلا مجتهدا في الدعاء والعبادة، تخلى عن الدنيا وباين أهلها واشتغل بعبادة ربه –عز وجل–، أنظر:المالكي، رياض النفوس، ج:01، ص:516.

[2] سبتة: "ceuta" إحدى المدن الساحلية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال المغرب،أنظر: لسان الدين ابن الخطيب، معيار الاختيار في أخبار المعاهد والديار، تح:محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، 1423هـ /2002، ص:144.

[3] الغوث: من الإغاثة وهي الإعانة والنصرة عند الشدة، أنظر: سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص:848.

غربا رباط وادي ماسين الذي كان حسنا مقصودا له بركة وكرامة من العباد مثل حصن تانكرمت وحصن مرنيه البير وحصن ابن زيني وحصن العروس والوردانية وهنين وغيرها. وكان إلى الغرب من ذلك رباط بمدينة كور ينسب إليها.

وإلى الغرب من طنجة ([1])على ساحل المحيط الأطلسي يوجد رباط عند مرسى باب اليم غربي طنجة.وبسلا كان يوجد رباط يكثر فيه القاصدون حتى اجتمع فيه حوالي مائة ألف مرابط.

لقد كان كثير من الزهاد يرابطون في تلك المحارس والقصور يحرسون المسلمين من الغارات المفاجئة التي يشنها أعداء الإسلام على الساحل المغربي.

وقد اشتهر عدد من الزهاد المغاربة بسكنى الرباط وانتسبوا إليها فمنهم من كان يدعى المنستيري نسبة إلى المنستير مثل أبو عمرو بشير بن عبدوس المنستيري([2]) ومنهم من كان يدعى الجمي نسبة إلى قصر الجمة مثل أبي السري واصل بن عبد الله الجمي ومنهم من كان يدعى الجزري نسبة إلى جزيرة شريك مثل اسماعيل بن رياح الجزري.

وكثيرا ما كان يفد الناس إلى تلك الربط لمشاركة الزهاد السكن معهم كما حدث مع أبو زكرياء الهرقلي في حصن هرقلة، وأبو الاحوص أحمد بن عبد الله المرابط بسوسة.

كانت معيشة الزهاد المرابطة في تلك الربط بسيطة جدا تقوم على النشاط والايجابية لا يشغلهم طعام ولا كساء فقد كانوا يتبلغون منه بالقليل وإنما كان جل همهم العبادة والحرس على المسلمين ومراقبة الشواطئ المغربية وكان قيامهم بتلك المهمة يعلي من قدرهم ومكانتهم في قلوب

[1]طنجة" Tanger" احدى مدن المغرب القديمة موقعها على المحيط الأطلسي بينها وبين أوروبا مسافة جبل طارق، أنظر: لسان الدين بن خطيب، المصدر السابق، ص:147.

[2]أبو عمرو بشير بن عبدوس المنستيري: هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله، كان من أهل الفقه والزهد والتواضع والفضل، أنظر: الدباغ، معالم الإيمان، ج:02،ص:137.

أهل المغرب فحبب ذلك الزهد إلى نفوسهم وساعد على انتشاره انتشارا ملحوظا في هذه البقاع.([1])

ثالثا: موقف الإمام مالك من التصوف:

لقد كان دخول مذهب مالك بن أنس ([2])إلى المغرب بدخول علي بن زياد (ت.183 ه)([3])، وغيره إلى هذه الربوع وبقي ينتشر إلى أن جاء الإمام سحنون (ت.240ه) فاستقر في هذه الأقطار وترسخ مذهبه الفقهي والعقائدي الذي يقوم على أساس الكتاب والسنة.

[1]محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة، ص:76.

[2]مالك بن أنس: هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ولد بالمدينة سنة 90ه .،هو غمام دار الهجرة، وأحد المذاهب الأربعة المتبوعة، ت.179ه .، أنظر: عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن انس إمام دار الهجرة، دار القلم، دمشق،ط:03، 1998/1419،ص:21.

[3]علي بن زياد: هو أبو الحسن علي بن زياد التونسي، كان تلميذا لمالك،ألف عدة كتب حول آراء مالك،ت.184ه .، أنظر: حسن بن رشيق القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح: محمد لعروسي المطوي،محمد بكوش، الدار التونسية للنشر،تونس، 1406ه ./1986م، ص:283.

و لم يكن عصر الإمام مالك قد عرف هذه الفئة و لم يكن لفظ التصوف أو الصوفية قد اشتهر بعد، لأن هذا اللفظ لم ينتشر إلا في القرن الثالث هجري.لكن لما سئل الإمام مالك عن قوم يدعون الفقراء فأجابهم أنه لم يسمع أحدا من اهل الإسلام يفعل هذا.

وبذلك قد بين الإمام مالك حكم الإسلام من هؤلاء القوم وأن اهل الإسلام لم يفعل منهم أحد ذلك على الرغم من قرب عهد الإمام مالك من عهد الرسول –صلّى الله عليه وسلم – ،ويظهر موقفه بارزا من خلال ما يلي قال المسيبي: كنا عند مالك وأصحابه حوله: فقال رجل من نصيبين: يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون، ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك أصبيان هم؟ قال مالك: ما سمعت أن أحدا من المسلمين يفعل هذا، قال الرجل: بل يأكلون، ثم يقومون ويرقصون، نوائب ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه، فضحك مالك ثم قام عليه فدخل منزله" ([1])، كما انه نهى عن تشييد القبور والبناء عليها وتجصيصها وغير ذلك، ونهى عن المبالغة في تعظيم قبر الرسول –صلى الله عليه وسلم–،والتمسح به، ونهى عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، ونهى عن التوسل لغير الله–عز وجل–([2]).

وللإشارة هنا يمكن أن يكون رأي الإمام مالك على جماعة التصوف المنحرف –إن صح التعبير– معارضا لهم.

[1] عبد الغني الدقر،الإمام مالك إمام دار الهجرة، ص:306.

[2] مصطفى باجو،علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، جريدة السبيل، ط:1412،،01ه ./2007، ص:51.

الفصل الثالث

أثر الصوفية في المجتمع المغربي

أولا: دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية.

ثانيا: دور المتصوفة في المجال الاقتصادي والسياسي.

ثالثا: دور الصوفية في الحياة الثقافية والفكرية.

أ- دورهم في التعليم.

ب- دورهم في نشر العلوم النقلية.

أولا: دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية:

لقد اهتم التصوف بالتربية الروحية والأخلاقية لارتباطهما ببعض ارتباطا وثيقا، فلا حياة روحية دون حياة أخلاقية، وإن الانحلال الخلقي يرجع إلى نقص التربية، وأول اهتمامات التصوف بناء الخلق الاجتماعي حيث أنه يطبع الفرد بالسلوك الحميد، ويعمل على إحياء الضمير والشعور بالمسؤولية ومحاسبة النفس ومراقبة الله –سبحانه وتعالى– على الدوام. لما كانت هذه من واجبات التصوف الأساسية فقد أدى ذلك إلى تنشئة المريدين وتربيتهم روحيا ودينيا واجتماعيا عن طريق تهذيب سلوكهم وتنقية نفوسهم بإكسابهم أنماط سلوكية وقيم دينية تتفق مع الأخلاق الإسلامية،والتصوف ينمي الشعور بالتعاون والمساواة والتضامن والتكافل الاجتماعي.([1])

وهذه المقومات الأساسية للتقدم الاجتماعي والحضاري ومن ثم فدور التصوف المعتدل ([2])روحيا من أسمى الأدوار لصالح الفرد والأسرة والمجتمع وبالنظر إلى أول الصفات التي يسعون للتخلي عنها الكبر، الكذب، العصبية، الغضب، وبالنظر إليها فهي عموما أساس فساد المجتمع، ومما لاشك فيه أن التقدم الأخلاقي أكبر وسيلة للتقدم الاجتماعي والحضاري، والدعوة الصوفية هي دعوة اجتماعية صريحة تعمل على إقامة مجتمع سليم متكامل يسوده جو من الحب والرحمة والعفو والإخاء الصادق والإخلاص بكافة المثل التي تؤهله للوصول إلى مرتبة أرقى المجتمعات.

[1] منال عبد المنعم السيد جاد الله، أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية، دراسة أنثربولوجية في مصر والمغرب، رسالة دكتورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1990، ص:252.

[2] كمال السيد أبو المصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص:07.

فالصوفي الحق دوره الإصلاح في المجتمع والعمل على تبصير الناس بالمنابع الحقيقية للدين الحنيف وبذلك تعمل على إصلاح المجتمع .

كما كان للشيوخ تأثير ايجابي في فض المنازعات وإقامة السلام وتحقيق الأمن والقضاء على التشاحن والتباغض وحل المشاكل على اختلافها سواء كانت دينية أو دنيوية.

لقد كان لرجال التصوف سلطة روحية ومادية على جميع الناس حتى الحكام وقد تصدى رجال الدين لمحاربة الرذائل بما أمر الشرع سالكين طريق الحكمة والموعظة الحسنة.

كما تميزت الصوفية بخصائص ومميزات عن باقي الفئات الاجتماعية من حيث تقشفها في الزاد، واللباس والمسكن وزهدها في الحياة الدنيا وكانوا مندمجين في الحياة بصورة عادية لهم بيوت وأزواج وأبناء ويقومون بواجباتهم والتزاماتهم إزاء أسرهم وأنبتوا نباتا حسنا حتى صار فيهم القاضي والفقيه.([1])

وبذلك أصبحت العامة يعتمد اعتمادا كليا على اهل التصوف خاصة عند الأزمات وهذا نظرا لعجز السلطة عن إيجاد حلول لهم ومتنفس لمشاكلهم كون مبدئهم الإحسان والمساعدة والتكافل الاجتماعي.([2])

[1]محمد دبوب، مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية في المغرب الإسلامي، شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، الجزائر، 2002-2001م، ص:94.

[2]أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981،ص: 216.

كما كان إلمامهم يهدف إلى المحافظة على تلاحم الأسرة وتماسكها وتضامنها خوفا من التشتت والتمزق إضافة إلى سعيهم في قضاء أمور العامة وتلبية مطالبهم عند الحكام والتوسط لهم للتخفيف من ألامهم.

وبالتالي نستخلص أن دور الصوفية في الحياة الاجتماعية كان بارزا من خلال تنظيمهم حياة الفرد والأسرة وكذا المجتمع، عن طريق التكافل الاجتماعي وكذا احتواء الطبقات المحرومة.

ثانيا: دور المتصوفة في المجال الاقتصادي والسياسي:

لقد أخذ الاقتصاد يتدهور نتيجة سياسة الأمويين الجبائية التي أثقلت كاهل السكان لاسيما الفلاحين([1]) وعمق هذا الوضع ثورات الخوارج الصفرية والإباضية، بداية من ثورة مسيرة المطغري 122هـ /739م([2])، وانطلاقا من النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي، أضحى الوضع بالمغرب الإسلامي يميل إلى الاستقرار خاصة بعد قيام الإدارات المحلية (الرستمية، الصفرية، الادريسية، الأغلبية، فأتاح هذا الوضع السياسي الجديد بالمغرب لسكانه المطالبة بالمساواة والاستقلال في تسيير شؤونهم بأنفسهم ورغبتهم في الاستقرار .

فأخذ طابع التنافس الاقتصادي، وهذا ما جعل الناس يحسون بالأمن فأقبلوا على العمل فبدأ النمو وتحسنت الأوضاع الاقتصادية بازدياد المحاصيل الزراعية وتنوعها.

[1]أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج:04، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1985/1405، ص:436.

[2]ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج:01، 56.

وقد كان أهل الشرع هم السباقون للتصدي للمشاكل الناجمة في الميدان الاقتصادي .كما إهتم أهل التقشف والزهد بحرفة الفلاحة أي تربية المواشي، يتجلى ذلك فيما أورده أبو المهلب المغربي المتوفى 275ه ./888م، في مؤلفه أدب القاضي والقضاء من أحكام في هذا المجال وهذا ما يبين مدى توغل أحكام الشرع وآراء رجاله في المجتمع المغربي، والخلاصة ان دور أهل الفقه كان دور تشريع ومراقبة عن طريق القضاء والحسبة خصوصا في العلاقات الاقتصادية.

أما بالنسبة للجانب الصناعي الذي تبلور في نهاية القرن الثاني للهجرة التاسع ميلادي فرجال الفقه قد أدووا دور مهم في هذا المجال من ذلك أن ابن فروخ([1]) كان ينصح الصناع بعدم الغش في صناعتهم وهذا ما يدل على مدى تأثير العباد على المجتمع.

أما بالنسبة للتجارة قد اهتم الفقهاء بظاهرة التشريع للأسواق التجارية وتنظيمها ومراقبتها والإشراف عليها عن طريق الحسبة والتي تعتبر وضيفة دينية وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا ننسى دور الرباطات في توفير الأمن الذي يسهل عملية التبادل التجاري العوامل المحفزة للعمل وزيادة الإنتاج وفي الأخير نرى أن دور رجال التصوف كان بارزا في الميدان الاقتصادي وذلك بمعالجته بإقامة العدل وتطبيق أمور الشرع.([2])

[1] بن فروخ: هو أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، كان فالا صالحا متواضعا في نفسه، قليل الهيبة للملوك، ولد بالأندلس 115ه ،. سكن بالقيروان، رحل إلى المشرق، أنظر: المالكي، رياض النفوس، ج:01، ص:176.

[2] محمد دبوب، مساهمة الحركة، ص:39-42.

أما في المجال السياسي فقد كان لرجال التصوف السلطان الأكبر على الحكام فكان ضغطهم ودورهم كبير حيث باستطاعتهم إثارة العامة وإسقاط الحكام وعزلهم، إذ أنهم هم أنفسهم كانوا يتولون مناصب هامة في الدولة كالقضاء (كالإمام سحنون) وإيجادهم حلول شرعية بين السلطان والعامة مما أعطى للفقهاء درجة عالية واليد الطولي في الاجتهاد وحماية مصالح الرعية.([1])

ففي فترة حكم الأغالبة انطبعت الحياة الاجتماعية والدينية بطابع من الحرية تكاد تكون مطلقة الأمر الذي جعل صوفية المغرب يلجئون إلى حواضرها عندما اشتدت بهم الخطوب كيزيد بن سنان الزناتي، وبرغوث بن سعيد الصفري ونظرا لقوة الصوفية وشعبيتها فقد أدرك الحكام مخاوفهم حيث اتخذوا مناهج سياسية لردع خطرهم بمحاولتهم كسبهم عن طريق المودة واحتواء نفوذهم.

ويمكن ان نستنتج أن العلاقة بين الصوفية والحكم كان تتحكم فيها ظروف وعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية الأمر الذي دفع بالحركة الصوفية إلى التمرد حينا والمهادنة حينا آخر، كما نرى أن بعض الحكام تقربوا من رجال التصوف وأحسنوا إليهم وخصصوا لهم رواتب ضمن الشرائح الاجتماعية إلا أن هذه الرواتب التي كان يحصل عليها الصوفية كانوا ينفقونها على الفقراء وأبناء السبيل وحتى الأراضي التي كانوا يحصلون عليها يتم توزيع محاصيلها على الفقراء.([2])

[1] ابن عذاري المراكشي، البيان لمغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج:01 ، ص:188.

[2] محمد دبوب، مساهمة الحركة،ص:100.

ثالثا: دور الصوفية في الحياة الثقافية والفكرية:

أ- دورهم في التعليم:

تعود نشأة التعليم إلى سنوات الفتح الأولى إلى عهد عقبة بن نافع 49-55/670-675-62-686-682/66،حيث كان أثر الفتح واضحا وذلك بتعليم الأهالي القرآن وتفقيههم في الدين ومن هؤلاء المعلمين الأوائل شاكر صاحب الرباط وأنهم أقاموا مساجد وعينوا عليها قاضيا وأميرا وقد امتدت مراكز التعليم الأولى في المغرب الإسلامي حتى وصلت أقصى جنوب المغرب الأقصى.([1])

تركز التعليم من القرن الثاني هجري الثامن ميلادي على تعليم القرآن والحديث والأحكام الشرعية والفرائض، وذلك بهدف نشر الإسلام وتعميق تعاليمه في شتى المجالات وأصبح التعليم في القرن الثالث هجري، التاسع ميلادي، مطلب الجميع ووضع في مرتبة الجهاد كما أشار أسد بن فرات. وكان يلقى في المساجد التي تأسست عقب الفتوح الإسلامية لتعليم الناشئة والناس القراءة والكتابة العربيتين ([2])

وكان التعليم حرا وكان يمر بمرحلتين:

---

[1] محمد دبدوب، مساهمة الحركة، ص:62.

[2] شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات-الجزائر، المغرب الاقصى، موريطانيا،السودان-، ط:01،دار المعارف، القاهرة، ص:78.

الأولى يتعلم القراءة والكتابة والمرحلة الثانية يتعلم مختلف المعارف والعلوم بالفقه والتفسير والحديث.وكان لكل من المسجد والكتاب والرباط أهم مؤسسات التعليم لاسيما المسجد الذي تعود نشأته إلى أوائل عهد الفتح. حيث ينسب المؤرخون إلى عبد الله بن الزبير أول مسجد أقيم ببلاد المغرب 31ه/651م، لكن البداية الحقيقية كانت مع بناء قصبة الجامع القيروان 51ه/671م، وكان إلى جانب المسجد ينشأ الكتاب وعرف ذلك عهد اسماعيل بن عبد الله بن مهاجر99ه-101ه/718م-720م.

ولا ننسى الربط التي أنشأت بكثرة بهدف الحراسة وقد كان يتردد عليها العلماء والزهاد أمثال الإمام سحنون للتعبد وإلقاء الدروس.

إن الربط في المغرب استمرت في نشاطها إلى نهاية النصف الأول من القرن السابع الهجري حيث تركت وظائفها ونشاطها للزاوية. ولذلك يمكننا القول أن الزاوية بالمغرب الإسلامي هي الرابطة في بداية شأتها وتطورها.

ويعد اهتمامهم بالتعليم لعدة عوامل منها:

-تسابق الأولياء في توجيه أبنائهم لتعلم الفقه قصد الوصول إلى المناصب العليا عند الحكام كالقضاء والحسبة.

-اقتصار التعليم على الفئات الاجتماعية التي بإمكانهما الإنفاق على أبنائها.

-تدخل الدولة فيما بعد من توجيه التعليم لخدمة توجهاتها السياسية والمذهبية فقد عمل الصوفية على إحراج التعليم من طوق الوصاية التي فرضتها الدول المغاربية التي تعاقبت على المنطقة إلى وسيلة ينال لها الفرد الأجر والثواب إلى جانب رغبة الصوفية في تكريس عبقريتهم من خلال تلقين مختلف العلوم العقلية والنقلية وعدم الاقتصار على علم معين وحتى يحققوا هذه الأهداف الجوهرية مارسوا ثلاثة من أنواع من التعليم: الأطفال، الطلبة، العوام وتركز التعليم في كل من تلمسان، بجاية، القيروان، وكانوا يدرسون في حلقات الدرس النحو، اللغة العربية، الفقه،والأدب أما منهج التعليم فكان يعتمد على الإلقاء والشرح حيث كان المتصوف يتلو الشرح.

وقد عكفت الصوفية على التعليم لشكل أوسع وذلك بكثرة الدروس التي كان يلقيها المتصوفة على العوام بالمساجد وقد رفعوا لواء محاربة الجهل والأمية أينما حلوا لاسيما داخل السجون التي كانوا يدخلونها قهرا وكان لها أثر كبير في نشر العلوم في البوادي كما أنهم نجحوا في تعميم التعليم مجانا([1])

[1] محمد دبدوب، مساهمة الحركة، ص: 71

ب- دورهم في نشر العلوم النقلية:

لقد كان جل اهتمام المتصوفة في تعليم القرآن وحفظه لكونه كلام الله المنزه ودستور المسلمين ولأهميته الكبرى لتشريعاتهم في تربية النفس وتهذيبها وتقويمها.كانوا يدرسونه في الكتاتيب، المساجد، الرباطات، بقراءات متعددة وقد اهتم سكان المغرب بالتفسير الذي أصبح يدرس بالقيروان وحواضر المغرب .فقد وضع أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن حندب (موسى القطان) الذي تولى قضاء طرابلس تفسيرا من مائة وعشرين جزء من أحكام القرآن،وتواصل هذا العطاء والإبداع حتى القرن 5ه .-11م، حيث ألفت العديد من التفاسير كالتي وضعها أبو محمد المكي بن أبي طالب النحوي اللغوي ت.477ه/1084م تحت عنوان كتاب الهداية في التفسير،إضافة إلى ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي الذي وضع تفسيرا سماه"سراج الهدى"، ومن هنا نشير إلى موضوع القراءات السبع والتي انتقلت إلى المغرب قراءات حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (156ه/772م) ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني(ت.170ه/786م).([1])، وبذلك اهتم سكان المغرب الإسلامي بالتفسير في فترة مبكرة حيث انتهجوا في ذلك سبيلين أساسين:سبيل التفسير الشفوي الذي أصبح تقليدا متوارثا وسبيل

[1]عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد السعيد العريان، محمد العربي العلمي، ج:01،مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1368ه ./1949م، ص:326.

التفسير الكتابي، ويعد يحي بن السلام المتوفى 200ه/815م، أقدم مفسر الذي وضع تفسير يعرف باسمه"تفسير ابن السلام" الذي أصبح يدرس بالقيروان وحواضر المغرب.([1])

دور الصوفية في علم الحديث:

لقد كان اهتمام المتصوفة الأوائل بالحديث واشتغالهم له إلى جانب القرآن وسع من دائرة الثقافة الدينية وساعدهم على التوسع والتعمق من التشريع الفقهي.

كما اهتم الصوفية بالفقه باعتباره جملة من قواعد وأحكام مستخرجة من الكتاب والسنة لتنظيم حياة الفرد الدينية والاجتماعية والاقتصادية وتشريع أحواله الشخصية ومعاملاته الاقتصادية والاجتماعية باعتباره أول المعارف التي ظهرت بالمغرب ومن بين الفقهاء الذين ذاع صيتهم ابن فروخ ت.172ه/789[2]()والبهلول ابن غانم وأسد بن فرات، وقد لعب هؤلاء الفقهاء دورا بارزا في نقل الفقه من المشرق وتركيزه بالمغرب ومن هنا كان الفقه هو المحرك الأساس للمجتمع والمحور الذي تدور عليه نشاطات الدولة إذ كان رجال الفقه السلطان الأكبر على الحكام ولقد كانت حاجة ماسة إلى تفسير القرآن وبلوغ أسراره والتدقيق في معانيه والإلمام بمعارف العلوم الدينية خاصة وأن أغلبهم كان يجمع بين الشريعة و والتصوف.([3])

[1]محمد دبوب، مساهمة الحركة، ص:68.

[2]المالكي، رياض النفوس58، ج:01 ص:.261

[3]محمد دبوب، مساهمة الحركة، ص:74.

الخاتمة

توصلنا من خلال هاته الدراسة إلى أهم النتائج التالية:

- إن مفهوم التصوف الذي صدر من بعض الأعلام في القرنين الثاني والثالث الهجريين أخذ جانبا من جوانب حسن الخلق، وتزكية النفوس، والزهد، والتقشف، وحب العزلة، والانقطاع للعبادة.
- تطور الزهد في بلاد المغرب مؤديا إلى التصوف على نحو ما حدث في المشرق، وأن أغلب الزهاد أطلقت عليهم صفات المتصوفة، أي اختلاط الزهاد والمتصوفة المغاربة الأوائل وحركتهم في الحياة المغربية.
- إن التصوف والمتصوفة كانوا يعتمدون على مبدأ الزهد والذي استقى من حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وصحابته والتابعين- رضوان الله عليهم-.
- كان انتقال التصوف إلى بلاد المغرب نتيجة عوامل مختلفة كرحلات الحج وطلب العلم.
- امتاز التصوف الأول بصفاته الحميدة كإقامة لقات العلم، ومجالس الذكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وبناءا على ما تقدم يمكن القول ان بداية ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي كانت في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة.
- إن حركة الزهد والتصوف الذي عم بلاد المغرب الإسلامي في أزهى فترات التاريخ الإسلامي، كان إحدى المعالم البارزة في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية وبلورة الحياة الثقافية والدينية دفعت بإسهاماتها إلى إثراء الفكر الصوفي.
- ساهم المتصوفة في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية والدينية.
- طبقة الزهاد والمتصوفة كانت لهم مكانة دينية وروحية واجتماعية ساهمت في تنظيم المجتمع والتأثير على السلطة لأن الحكام كانوا يحترمونهم ويخشون عواقب مخالفتهم.
- يعد قيام الصوفية بتأسيس الربط أمرا مهما ومكسبا ثقافيا واجتماعيا، شكّل اللبنة الأولى في تطوير الحركة العلمية والثقافية ونوعية المجتمع وترقيته حضاريا، حيث أدى نشاطهم إلى

تطوير وازدهار حركة التعليم وطرق تدريسه، إضافة إلى الاعتناء بالجانب التربوي والنفسي والعقلي.

- كان التصوف الذي عرفته بلاد المغرب الإسلامي منذ ظهوره حتى أواخر القرن3هـ .، تصوف فردي لم تنظمه الطرق الصوفية، وكان إيجابيا.
- كان كثير من المتصوفة المغاربة من الفقهاء وأهل العلم وكان أكثرهم من المالكية فلم ينشأ بينهم وبين الفقهاء الغير المتصوفة نفور كبير ولم يعرف المغرب نزاع محتدم بين الفقهاء والمتصوفة.

قائمة المصادر و المراجع

01-القرآن الكريم.

02المخطوطات:

01- الانتصار للأولياء الأخيار، ابن علا عبد الجليل الكردي.

02- مخطوطة القصيدة النومية المسماة بالإشارة النبوية لحسين الأزهري الشافعي.

03-المعاجم:

- وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مج:04، دار الفكر، بيروت.
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط:04، مصر، 2004/1425.

03- المطبوعات:

أ- المصادر:

01- ابن الأثير(عز الدين أبي الحسن علي بن الجزري)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض،عادل عبد الموجود، ج:06، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.س).

02- الحداد (الحبيب بن عبد الله بن علوي الحضرمي الشافعي)، رسالة سلوك آداب المريد، تح: محمد صفوان، محمود صافي، ط:01، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، 1414هـ /1994.

03- الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي)، معجم البلدان، مج:05، دار صادر، بيروت، 1397هـ /1977.

04- الحميري (محمد عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان،ط:01، د.س.

05- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، المقدمة، تح: خليل شحادة،سهيل زكار، ج:01، دار الفكر، بيروت، 2001.

06- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج:05، دار صادر، بيروت، (د.س).

07- ابن الخطيب(لسان الدين)، معيار الاختيار في أخبار المعاهد والديار، تح:محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، 1423ه ./2002.

08- الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي)، معالم الإيمان في معرفة اهل القيروان، تح: محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضي، ج:02، مكتبة الخانجي، مصر، 1987.

09- الرازي(يحي بن معاذ)، جواهر التصوف، تح: سعيد هارون،ط:01، رشيد مكتبة الآداب ،القاهرة، 1423ه ./2002م.

10- السراج الطوسي(أبي نصر)، اللمع، تح: عبد الحليم محمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960/1380.

11- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1405ه ./1985.

12- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد السعيد العريان، محمد العربي العلمي، ج:01،مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1368ه ./1949م.

13- ابن عجيبة(عبد الله أحمد)، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د.س.

14- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال، ج:01،ط:03، دار الثقافة، بيروت، 1983.

15- الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد)، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة في بجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

16- القاضي عياض(أبي الفضل عياض اليحصبي)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تح: محمد سالم هاشم، ج:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418ه ./1988.

17- القشيري(أبو القاسم النيسابوري الشافعي)، الرسالة القشيرية، تح:عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1409ه ./1989م.

18- القيرواني (حسن بن رشيق)، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، تح: محمد لعروسي المطوي،محمد بكوش، الدار التونسية للنشر،تونس، 1406ه ./1986م.

19- الكلاباذي(محمد أبو بكر)، التعرف لمذهب اهل التصوف،د.ت.

20- المالكي(أبي بكر عبد الله بن محمد) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: رشيد بكوش،مر: محمد العروسي المطوي، ج:01، ج،02، دار الغرب الإسلامي، ط:01، بيروت، لبنان، 1043ه/1983.

21- المناوي(عبد الرءوف)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى،مج: 01، تح: عبد الحميد صالح مدان، مكتبة الأزهرية للتراث، الإسكندرية، د.س.

22- ماسينون مصطفى عبد الرزاق، التصوف، تح: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتب اللبناني، ط:01، 1984.

23- الهروي(أبي اسماعيل)، منازل السائرين إلى الحق المبين، تح: عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني، ج:01، دار التركي للنشر، 1989.

2- المراجع:

24- أندريه(نور)، التصوف الإسلامي، تر: عدنان عباس علي، منشورات الحمل، ألمانيا، ط:01، 2002.

25- بوعزيز(يحي)، الموجز في تاريخ الجزائر -القديمة والوسيطة-، ج:01، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط:02، 2009.

26- بوتشيش(ابراهيم القادري)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997.

27- بدير عون(فيصل)، التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1983.

28- البركات البيلي(محمد)، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، مصر، 1993.

29- التفتازاني(أبو الوفا الغنيمي)، مدخل إلى التصوف الإسلامي،، ط:03، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1479.

30- الحكيم(سعاد)، المعجم الصوفي، ط:01، دار دندرة للطباعة والنشر والتوزيع، 1401ه ./1981م.

31- حسن(ابراهيم حسن)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج:01، دار الجيل، مكتبة النهضة العربية، ط14، بيروت، لبنان.

32- حمدي(أيمن)، قاموس المصطلحات الصوفية، دار الفكر قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

33- حمدي زقزوق(محمد)، قضايا فكرية واجتماعية في ضوء الإسلام، دار المنار للنشر والتوزيع، ط:01، القاهرة، 1409ه ./ 1988.

34- الخطيب(عبد الكريم)، التصوف والمتصوفة في مواجهة الإسلام، دار الفكر العربي، ط:01، مصر، 1980.

35- الدقر (عبد الغني)، الإمام مالك بن انس، إمام دار الهجرة، دار القلم، دمشق،ط:03، 1998/1419.

36- دبوز(علي محمد)، تاريخ المغرب الكبير،مؤسسة تاوالت الثقافية،الجزائر،ج:03،ط:03، 1964.

37- السيد(كمال أبو مصطفى)، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب الإسلامي
من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.

38- بن الطيب(محمد)، إسلام المتصوفة، دار الطليعة/ ط:01، بيروت، لبنان، 2007.

39- ظهير(إحسان إلهي)، التصوف المنشأ والمصادر، دار الإمام المجدد، ط:01، القاهرة، مصر، 2005/1426.

40- عبد الكريم(جودت يوسف)،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ ./9، 10م، دار المطبوعات الجامعية، 1992.

41- العلو(هادي)، مدارات الصوفية تراث الثورة المشاعية في الشرق، دار الهدى، ط:01، سوريا، 1997.

42- غرميني(عبد السلام)، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن 6هـ .، التاريخ والفكر، دار الرشاد الحديثة، ط:01، الدار البيضاء، المغرب، 1420هـ ./2000م.

43- فيلالي(عبد العزيز)، العلاقات السياسية بين الدولية الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر، القاهرة، ط:02، 1999.

44- لقبال(موسى)، المغرب الإسلامي، ط:02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

45- لوح(أحمد محمد)، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ج:1، ط:01، دار ابن عفان، القاهرة، مصر، 1422هـ ./2002م.

46- المهدي(أبو يزيد)، بحار الولاية المحمدية في مناقب اعلام الصوفية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:01، 1418ه ./1998م.

3- الأطروحات:

- التهامي(إبراهيم علي)، أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في محاربة الانحرافات العقدية من الفتح حتّى ق5ه .، رسالة دكتورة، ج:01، ج:02،كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية، 1412ه ..

- تراسون(أبو الخير)، التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، أطروحة الدكتورة، كلية الدعوة وأصول الدين،جامعة أم القرى.

47- - عبد المنعم(منال السيد جاد الله)،أثر الطريقة الصوفية في الحياة الاجتماعية، دراسة انثروبولوجية، الإسكندرية،1990.

48- المجلات:

49- لمياء عز الدين صباغ،الصوفيون والتصوف في المغرب حتى القرن الرابع الهجري، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد14/1، 1434ه/2013م.

50- خالد بلعربي، حركة التصوف في بجاية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين، مجلة حولية التراث، العدد2014/14.

4- الجرائد:

51- مصطفى باجو،علماء المغرب ومقاومتهم للبدع والتصوف والقبورية والمواسم، جريدة السبيل، ط:1412،،01ه ./2007.

5- الرسالات الأكاديمية:

52- دبوب(محمد)، مساهمة الحركة الصوفية في المجالات الثقافية والاجتماعية في المغرب الإسلامي، شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية، الجزائر، 2001-2002م.

6- المواقع الالكترونية:

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=154&idto=159&bk_no=81&=3K.

الملاحق

ملحق: 01.

ان يوفقنا لها عنه ... وليد ما على ... م
القواطع عنه بمنه وكرمه آمين الباب التاسع في بيان علم التصوف
قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى اعلم يا اخي ان
علم التصوف عبارة عن علم انفتح من قلوب الاولياء حين استنارت
بالكتاب والسنة فكل من عمل بها انفتح له من ذلك علوم وآداب واسرار
وحقائق تعجز الالسن عنها نظير ما انفتح لعلماء الشريعة من الاحكام
حين عملوا بما علموه من احكامها فالتصوف انما هو زبدة عمل العبد باحكام
الشريعة اذا خلي من العلل وحفظ النفس كما ان علم المعاني والبيان زبدة
علم النحو فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق ومن جعله من عين احكام
الشريعة

نص تعريف علم التصوف، أنظر: يوسف بن علا عبد الجليل الكردي، مخطوط الانتصار للأولياء الأخيار.

الشريعة صدق كما انّ من جعل علم المعانى والبيان علما مستقلا صدق ومن
جعله من جملة علم النحو صدق لكن لا يشرف على ذوق انّ علم التصوف تفرّع
من عين الشريعة الا من تبحّر فى علم الشريعة حتّى بلغ الغاية وقد اجمع القوم
على انّه لا يصلح للتصدّر فى طريق الله تعالى الا من تبحّر فى الشريعة وعلم
منطوقاتها ومفهوماتها وخاصّها وعامّها وناسخها ومنسوخها وتبحّر فى
لغة العرب حتّى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك فكلّ صوفيّ فقيه
ولا عكس وبالجملة فما انكر احوال الصوفيّة الا من جهل حالهم وكان الامام
القشيرى يقول لم يكن عصر فى مدّة الاسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة الا
وائمّة ذلك الوقت من العلماء قد امتثلوا لذلك الشيخ وتواضعوا له
وتبرّكوا به ولو لا من يّته وخصوصيّته للقوم لكان الامر بالعكس وقال
الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ويكفينا مدحا للقوم اذعان الامام الشافعىّ
لشيبان الرّاعى حين طلب الامام احمد سؤاله عمّن ينبغى صلوة لا يدرى اىّ
صلوة هى واذعان الامام احمد لشيبان كذلك حين قال شيبان هذا
رجل غفل عن الله تعالى فجزاؤه ان يؤدّب وكذلك اذعان الامام احمد
لابى حمزة البغدادىّ الصوفىّ واعتماده فيه حتّى كان يرسل له دقائق
المسائل ويقول ما تقول فى هذا يا صوفىّ فشىء يقف فى فهمه الامام احمد
ويعرفه ابو حمزة غاية المنقبة للقوم وكذلك اذعان ابى العبّاس ابن

تابع، المصدر نفسه.

شيخ للجنيد حين حضره وقال لا أدري ما يقول ولكن لكلامه صولة
ليست بصولة مبطل وكذلك إذعان الامام ابي عمران للشبلي حين
امتحنه في مسائل من الحيض وافاده سبع مقالات لم تكن عند ابي عمران
وحكى الشيخ قطب الدين ابن ايمن ان الامام احمد كان يحث ولده على
الاجتماع بصوفية زمانه ويقول انهم قد بلغوا في الاخلاص مقاما لم
نبلغه انتهى وقال الامام اليافعي ويكفي شرفا لهذا العلم ولاهله
قوله تعالى في حق الخضر عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وقوله تعالى
حاكيا عن موسى عليه السلام هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
وقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام ايضا ستجدني ان شاء الله صابرا ولا
اعصي لك امرا مع كون الخضر عليه السلام اختلف في نبوته وموسى
عليه السلام من المرسلين اولي العزم افضل منه بلا خلاف ومع هذا رحل
اليه والتمس منه الصحبة والتعليم فاطلعه على علوم غامضات وامور
عجيبات في ضمنها آيات باهرات وكرامات ظاهرات ويكفينا شرفا
ايضا ما ورد في فضل اويس القرني وكونه افضل التابعين في بعض
روايات صحيح مسلم مع ما في التابعين من العلماء الكبار وهو شغله بالله
وولهه بمحبته ينسبه الى الجنون الاشرار وقد نوه بشرفه وفضله
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاخبار المشهورة في جميع الامصار واذا

عرف

تابع في تعريف علم التصوف، يوسف بن علا عبد الجليل الكردي، المصدر السابق.

عرفت ذلك فاعلم أن علم التصوف هو كما قال الامام الغزالي تجريد القلب
لله تعالى واحتقار ما سواه قال الامام جلال الدين السيوطي ولذلك
سمي الصوفي به أخذا من الصفاء لتصفية القلوب كما قيل شعر
وليس يشهر بالصوفي غير فتى ... صافى فصوفي حتى سمي الصوفي
فاذا عرفت المقصود من التصوف فراقب الله تعالى في جميع حالاتك وذلك
بان تبدأ بفعل الفرائض وترك المحرمات عليك كبيرها وصغيرها ثم
بفعل النوافل وترك المكروهات ولكن اهتمامك بترك المنهي أشد من
اهتمامك بفعل المأمور ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة ما نهيتكم
عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وانت في المباح
بالخيار بين الفعل والترك وان نويت به الطاعة كالاكل للقوة على العبادة
فحسن تثاب عليه واعتقد انك مقصر فيما اتيت به وانك لم توف من حق
الله ما عليك مثقال ذرة واعتقد انك لست بخير من احد فانك لا تدري
ما الخاتمة لك وله وسلم لامر الله تعالى وقضائه معتقدا انه لا يكون الا
ما يريد هو لا ما تريد انت ولو حرصت ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة رضي
الله عنه استعن بالله ولا تعجزن وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت
كذا كان كذا ولكن قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان واياك
ان تراقب احوال الناس وتراءيهم فيسد عليك ابواب كثيرة من الخير الا ما ورد

من مخطوط: الانتصار للأولياء الأخيار،للمؤلف يوسف عبد الجليل الكردي، ص:02.

قصيدةفي التصوف:

ملحق:02.

تمت بعون الله وحسن توفيقه و لطفه ٩ ش
بقلم كاتبه الفقير إلى مولاه الحنان حمد ابن عثمان م ش
غفر الله له ولوالديه ولكافة
المسلمين
آمين
القصيدة النونية المسماة بالإشارة النبوية لمنشئها العلامة
الفاضل والجهبذ الكامل الشيخ حسين والي الازهري الشافعي ابن العلامة المرحوم
السيد حسين والي الحسيني الازهري نفعنا الله به آمين قال منشئها
الفقير إلى الله حسين والي الازهري الشافعي ابن المرحوم حسين والي الحسيني
سبب انشاء هذه القصيدة انى اجتمعت مرة بالقطب الرباني والصيكل
الصمداني صاحب البركات والنفحات سيدي ومولاي الشيخ ابراهيم
ابي العيون استاذ الصوفية وملاذ القادة الخلوتية وكلمته في حاله

أنظر:مخطوط القصيدة النونيّة، لحسين والي الأزهري الشافعي.

تابع، المصدر السابق.

وهل يراه له مطيعا ... سواي وهو كمجنون

بحق ما حققت ما يرى ... لما تلقيت باليمين

فانه لم يكن للورى عيون ... فتى وحيدا ابو العيون

به غدوت على عدوى ... عدو السميع على الجبين

به سلكت وقت مرائى ... والرأى ينأى عن العيان

اعزنى عن ندامى صفوة ... وكنت فى ذلة وهون

هو الذى جعل البرايا ... عما عليه عميت رؤنى

سترى وعصر الفنا مصون ... وعنده ليس بالمصون

شربت من يده حيانى ... وكنت احسبها منونى

رحاق اذا سقيت لعابس ... يتيه بحضرة الامين

وقلت نهرا لباعثات ... على الشقا نبت فاتركينى

الله جسمى حيث اضحى ... رؤحا لنعماه بعد طين

يرانى الكل فى سرور ... ولحزن من خلقى الكمين

لكننى فى خيال البتلى ... ذو العز والمزح الثمين

وفى الانام اجل وقدى ... ما كنت فيه اخا مجون

ركنت سرا الى الجنون ... ياحبذا ذاك الركون

فتارة انا فى غناء ... وتارة انا فى طنين

وتارة انا خذن باس ... وتارة انا فى عيون

وتارة انا فى جحيم ... وتارة انا عند نوس

وتارة منطقى مبين ... وتارة ليس بالمبين

لكن فؤادى اعد كرفيا ... وصبه مكلس التمين

وان سمعت بذكر زينى ... فرت كالى المعزين

يا مصطفى انا منك نازن ... جارك وامق مسلمين

مثلك باين يديك ازجو ... ان استمر على اليقين

يا سيد الانبياء انى ... اهل لاحسانك الهتون

انقد فؤادى من امور ... فانما هو كالحنين

لو لم ازل ان منك علما ... غرقت فى نازل بطين

على التقى وهداك ابنى ... وسدد ان كثرن زينى

وان عصيت فكر شفيعا ... فليس غيرك بالقمين

فانه نام السعير ليست ... تذار عينى بالحصون

واضيعتى ان لقيت سخطا ... مشرف الاسارة الغصون

من ذا يسلم فى وليد ... له الى محرق مسلمين

وهل ارى فى القيام عيا ... وانت دونك الملا ضمينى

امرتنى فذكرت شيا ... وان تشا جئت بالرصينى

ومن يقل فى بافتراء ... فاعدد له من عشرة اللعين

له وفاقا معينه فى ... كل الامور ولى معينى

١٣

أبا العيون وبرئت منه ... فضلاً وما انت بالضنين
الست تجعل من وراه ... من جود ايديك كالرهين
أوقفتني موقفاً خطيراً ... في ساحة الشرف المكين
انلتني أملي وانسي ... فصرت في رتبة المدين
كأنك الوهب الآيادي ... من فوق منتظر الظنون
ماذا اقول وانت مني ... اليه اقرب كل حين
صلى وسلم مصطفيه ... عليه فوق مدى السنين

تمت بحول الله وقوته على يد كاتبها الفقير الى ربه
الكريم الحنان احمد بن عثمان غفر الله له ولوالديه
ولكافة المسلمين امين آمين لا ارضى
بواحدة ويرحم الله عبداً
قال آمين سنة ١٢٧٦ هـ في
شهر ربيع اول بحرية
تعلق الشيخ احمد الحنش من طلبة العلم
الشريف بشركة
غفى عنه
آمين

© King

٣٩٧٧ ق ٨٢٧ ٤١
٢

تابع، المصدر السابق.

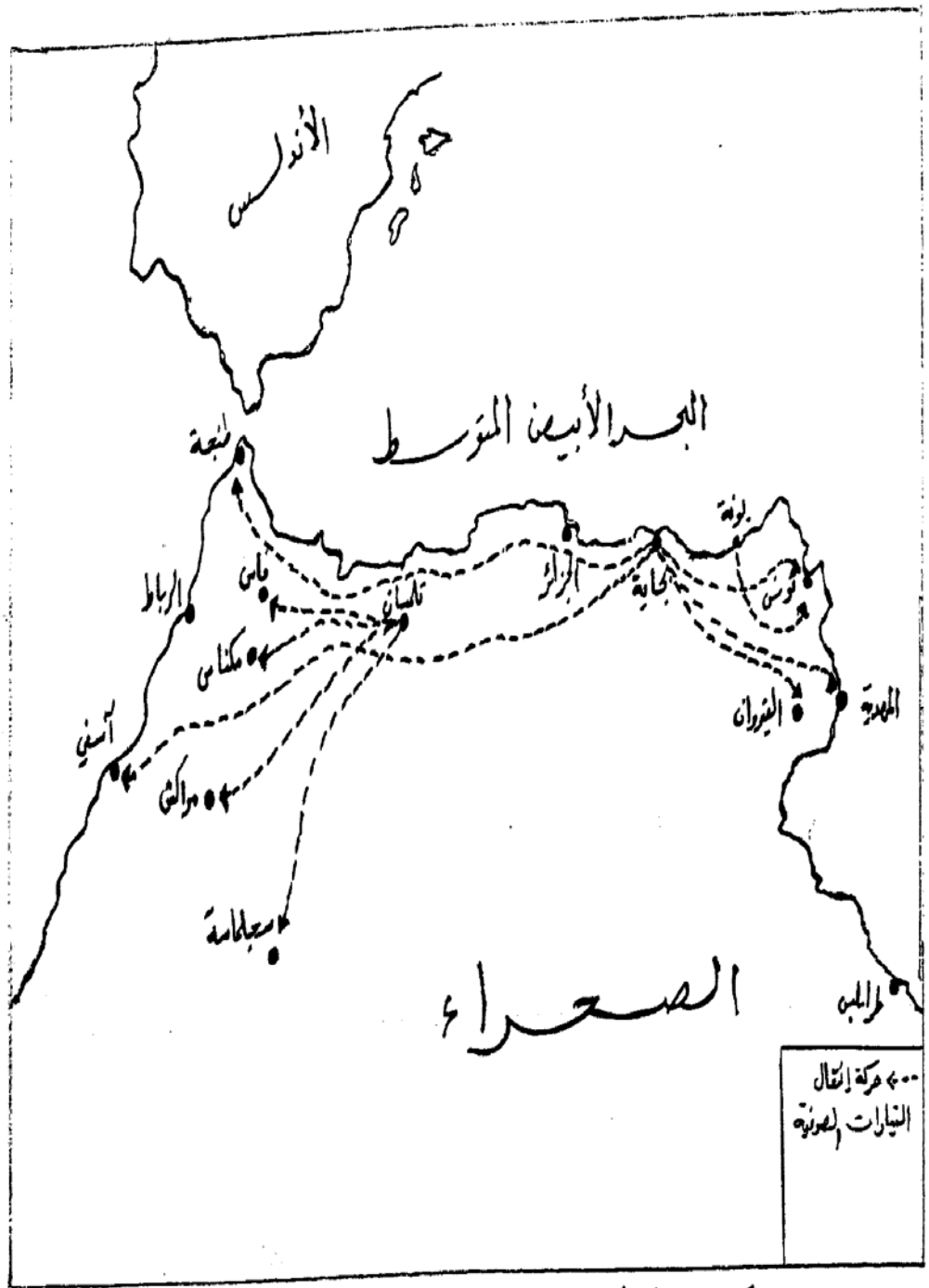

حركة إنتقال التيارات الصوفية عبر مناطق المغرب الإسلامي.
خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

عن: ابن خلدون. بتصرف. ص: 72.

الفهرس

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة

مدخل 07

الفصل الأول : بدايات التصوف في بلاد المغرب الإسلامي أولا: انتقال الزهد إلى بلاد المغرب 22

ثانيا:تطور حركة الزهد في بلاد المغرب- 26

ثالثا: شخصيات المتصوفة الأوائل 28

الفصل الثاني: عوامل انتشار التصوف في باد المغرب ومظاهره 33

أولا: عوامل الانتشار 33

ثانيا: مظاهر التصوف 36-

ثالثا: موقف الإمام مالك 46-

الفصل الثالث: أثر المتصوفة في المجتمع المغربي 49-

أولا: دور المتصوفة في الحياة الاجتماعية 49

ثانيا: دور المتصوفة في الحياة السياسية والاقتصادية 51

ثالثا: دور المتصوفة في الحياة الفكرية والثقافية 54

الخاتمة: 60

الملاحق 63

قائمة المصادر والمراجع 74
الفهرس 82